

وعددنا مائتا مليون



شعر
أحمد
المستأوف

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ملعونٌ هذا الصمتُ الفاجر
ملعونٌ هذا الدَّجلُ المشبوهُ العاهر
ملعونٌ من باع الصدقَ وخانَ الأرض
وتغنى بالهذيانِ السَّمجِ المرفوضِ
وكرامتُنا في سوقِ السَّايَةِ للعرضِ
يَفضِّلُها شيءٌ في دكانٍ معروضِ

والسيف ذليلٌ لم يبقَ السيفَ الباتر
والزُّنْدُ عَجِينٌ لم يبقَ الزُّنْدُ القادر
والشعبُ يعيشُ هواناً في سجنٍ ملعونٍ
وعُدُّنا — واخجلي — مائتا مليون

• • •

رَحَقَ الحَقْدُ الأعمى بالدبابات
تَدَعُمُهُ أَغْطِيَةٌ من نارِ فلسطيني جَمَّة
طياراتٌ وصواريخٌ ومعدّاتٌ حربية
ومواقفٌ مخزبةٌ عربية

ما زالت تطبعُ تصرّحاتٍ وبياناتٍ
وتُفَكِّرُ كيف تُلَمّ السَّمَلُ لمؤتمر القِمْة
وتُعَاتِبُ في حَقَرِ أعداء الإنسان
وتُشَاهِدُ مُدَمِّمَةً ما أَلْفَتْ أَقْدَرُ عُذْوَانٍ
هولاً كَوَفِيهِ رُغْبَةً يَدْعِي شَارُونُ
وعُدُّنا — واخجلي — مائتا مليون

• • •

يا عرباً يجتروْنَ الأعْجَادَ السِّلَفِيَّةَ
هل بَعَثْتُمْ ماضِيَكُمْ وَتَسَيَّنْتُمْ معنَى النَّارَاتِ
أَمْ أَضَحَّتْ رَابِتُكُمْ تُنَكِّرُهَا كُلُّ الرَّايَاتِ
أَمْ عَافَ المَجْدُ عِزَّكُمْ فَالْمَجْدُ شَقِيقُ الحُرِّيَّةِ
لا يَصْنَعُ أَعْجَاداً شعبٌ يَرْتَسِفُ في الأغْلالِ
سِيانٍ لَدَيْهِ ماءُ النِّبْعِ وماءُ جَمْعَتِهِ الأَوْحَالِ
هَلَا تُرْتَمِ لِكِرَامَتِكُمْ وَرَفَضْتُمْ هَذَا الصَّبْرَ
أَمْ أَنَّ كِرَامَتَكُمْ قَدْ مَاتَتْ وَتَوَتَّ بِالْقَبْرِ

بيروت مهشمةً بسلاحٍ همجيٍّ مجنونٍ
وعددنا — واخجلي — مائتا مليونٍ

• • •

يا عرباً: غَضِبُوا من قَطْرِ حَتَّى مِكناسٍ
لا يَنْفَعُنَا غَضَبٌ لم يَنْهَضْ لِقِتَالِ الأَشْرَارِ
فَالدُّنْيَا قد غَضِبَتْ وتَظَاهَر فيها النَّاسُ
أنتم — إن شِئْتُمْ — طوفانٌ يَكْتَسِخُ الأَسْوَارُ
فَالطُّغْيَانُ يَدُكُ الأَبْنِيَّةَ على السَّكَّانِ
لَا فَرْقَ لَدَيْهِ أَطْفَالٌ ذُبِحُوا أَوْ نِسْوانُ
فَالضُّوءُ الأَخْضَرُ مُفْتَوِّحٌ لِمَزِيدٍ من تَقْتِيلِ
وَالضُّوءُ الأَخْضَرُ مُفْتَوِّحٌ لِمَزِيدٍ من تَنْكِيلِ
وَدِمَاءُ بَنِي قَوْمِي لِعَسَاكِرِ صَهِيونَ أَقْيُونِ
وعددنا — واخجلي — مائتا مليونٍ

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.Com>

يا قَدْرًا يَتَحَدَّى الهَجْمَةَ في بيروت
وَيُذِيقُ جِحَافِلَ شَارونٍ عَارًا وهَزِيمَةً
هِيَّاتِ يَضِيغُ الحَقُّ وَيَنْتَصِرُ القَطَاغُوتُ
هِيَّاتِ تَظَلُّ مَوَاطِنُنَا تَبْتَلِغُ الصَّمْتِ
فَالوَطَنُ الأَكْبَرُ بَأْسٌ وَعَزِيمَةٌ
وَالثُّورَةُ مَقْبِلَةٌ لِعَقَابِ الكَيْتِ
فَحِرَامٌ نَتْرُكُ بِيروتَ لِمَوْتٍ وَمَصَائِبِ
وَيَهُودٌ تُغْرِبُ فِيهَا وَكُنَائِبِ
وَدَسَائِسَ مَرْعَبَةً تَفْتِكُ كَالقَطَاعُونِ

وعددنا — واخجلي — مائتا مليون

• • •

قلبي يتزفُ ألاماً منذ التَّكْبَةِ
شعبٌ عربيٌّ يُدْتِغِ
تسحقهُ أطماعٌ صهيونية
وظلاُمٌ عقولٍ حجرية
لم تعرفِ عدلاً فالعدلُ لديها فنُّ اللُّعْبَةِ
وضحايا ودماء تُسْفَخُ
لنهاية فصل مُؤامرة الحُكْمِ الحدودِ
وفلسطينُ بأجمعها تُهدى ليهودِ
وضميرُ الحقِّ بموقفنا هذا مطعون
وعددنا — واخجلي — مائتا مليون

ARCHIVE

لَو أَنَّ الْفِكْرَ قَدْ اسْتَحْلَى حَقَرُ الشَّيْئِ
<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

ورفضنا السَّيْرَ بلا هادٍ في الصُّخْرَاءِ
ونفضنا للرَّيحِ الصُّفْرَاءِ
لستحقنا صَلَفَ النَّاظِرَةِ
وَدَقْنَا حُلماً ما زال يُهَيِّئُ للفتنِ
مَنْ مَنَا لَا يَطْحَتُهُ هَمٌّ وضياعُ
وسفينتنا في بحرِ الظُّلْمَةِ دونَ سراعِ
والوقفُ تَطْلُبُ روحاً عربيَّة
والظُّرُفُ بأشوأ ما دُقْنَا مشحونُ
وعددنا — واخجلي — مائتا مليون

خادر في مساحة وهمية *

سليمان شطي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

— هاهو اسم قاتلي !
 حدثت فيه أعين مشفقة ضائقة ،
 يده ترتعش ، ضلت طريقها مرتين قبل
 أن تعثر على شيء ! ... ورقة
 (مكرمة) تعلق بطرف جيبه المتهدل
 ينتزعها بعزم متخاذل .. خطوط
 متداخلة مضطربة .

— أقول لكم .. هاهو اسم قاتلي !
 حيرة واضحة عند المحيطين ،
 فقدوا معنى التصرف ، بل لا تزال
 تتحكم فيهم هيئته حتى في هذه
 اللحظة العجيبة ..
 صوت رقيق مجامل ومسائر يميل
 برأسه ..

« هذه القصة إحدى قصص مجموعة «رجال من الزوف العالي» التي ستصدر قريباً للمؤلف .

— ولكن .. ليس فيها سوى .. سوى
الاسم الأول: عبدالحميد! ..
وشهقت أخته:

— اسمك .. انه اسمك!

وبعين فاقدة كل بريق نظر اليها
وأطرق بصوت متقطع:

— لا .. لا .. شخص آخر. اقول .. انه
شخص آخر .. هددني بالقتل. الأمر
بسيط .. أخطأت بحقه. أمر بسيط.
ولكنه مع هذا هددني وتوعدني ..

ونطق آخر:

— يمكن أن نندارك الأمر ..

صوت بكاء مر، حشرجة وصوت

غير مكتمل:

— ما به .. آه .. أخي.

— لا تخافوا، إذا حدث شيء لي
أقبضوا عليه .. حتى لو مت قضاء
وقدرا، هو المسؤول. إذا حدث لي
شيء هو المسؤول لاغيره، لو أن حجرا
مس اصبع قدمي هو المسؤول .. غادر
قد يكون المظهر سليما فلا تنخدعوا
ابحثوا جيدا ..

واقترب أكبر الاخوة:

— خبرنا فقط بالقضية، دعنا نفهم،
ماتقوله غير معقول، إذا كان الأمر
جدا نذهب إلى الشرطة.

وانفض:

— لا .. لافائدة من الشرطة، إذا
حدث أي شيء بلغوهم.

— ولكن ما الفائدة، بعد فوات
الأوان، نذهب الآن أحسن.

— لا .. قلت لكم كل شيء. إذا
حدث ..

وانزوى الاخوان جانبا.

— هل تصدق الأمر، انظر اليه انه
مضطرب الأعصاب، نذهب به إلى

الطبيب.

الليحظات تمر، الأمر كما هو،
خروج ودخول، وجوه كالحة وأذهان
شاردة، لم يصدقوا ما يرون، تكون
النهاية هكذا؟ كان مفخرة لهم، هو
الاسم الأبرز والأشهر، كم مرة أطلت
صورته من صحيفة أو تلفزيون، واسمه
الذي يتردد بين الأفواه بفخر، هاهو
جالس، وجه مُشَوَّد، كل مافيّه يهتز،
سجائر متوالية ومعدة خالية، كانوا

يلجأون إليه حين تضيق دنياهم بهم، ولكن الآن ماذا يفعل . يتابعونه وهو يتحرك من غرفة لأخرى، يستقر في الزوايا، يمد يده هنا وهناك، يحركها بإشارات لامعنى لها. اطفال نساء رجال يتابعونه وقد عجزوا عن فهم شيء .

ثلاثة أيام توالى بين الخوف والاشفاق، التصديق والشك، ومرة يرون الأمر جدا لابد من تصديقه، وحينما يطردون الخاطر الآخر الذي يخافون منه . هل حقا فقد عقله ؟ لم يستطيعوا الهرب من خاطرين ملحين .. مهدد بجسمه وروحه أم معتله ؟

منذ شهور والأمور خيرة واضحة، يكثر الاختلاء بنفسه، يقلب كتباً وأوراقاً . ليال طويلة مرت ونور غرفته لا يخفته إلا نور الصباح، ولكنهم اعتادوا هذا، هل كان عبد الحميد يرى دون كتاب أو أوراق ؟ ..

ولكن الأمر زاد عن حده، ضايقتهم مايرونه من بقايا لون أصفر من كأس الليل، ماكانوا يملكون ردا لأي شيء، ووقف هذا عند حدود الرؤية التي لاتضر والرائحة التي

تضايق . وقبلوا الأمر ...

وتطورت الحالة وهم يرقبونها بصمت، زادت الحركة، أصوات تصدر رابتهم، ولكنهم لم يجرؤوا . بدأوا يجدونه صباحا في حالة مضطربة، ونوم غير عاقل .. ينام في أي جزء إلا فراشه، مرات عديدة كان رأسه أو قدماه يطلان من فتحة الباب، ارادوا أن يسألوا، ولكن بقيت صيغة السؤال محيرة . فصمتوا وبدأ اضطرابه يتجاوز غرفته، أحسوا أن طلباته كثيرة وغير معقولة، ينفب ويضحك والرباط بينهما ضعيف، يجلس بينهما يعلق تعليقات ضاحكة وهم الذين اعتادوا منه الجدار

أسروا بما في نفوسهم لاختيم الآخر، ابتسم : — الأمر عادي، لحظات الانبساط مقبولة، لقد قضى أخوكم حياته كلها جدا بجهد، حمل هموم الأمة فوق رأسه، لعله بدأ يفيق .. دعوه فقد أثقل عقله بأفكار لا حصر لها .

وأطمأنت الاخت السائلة فقد اربعبها سلوكه غير الطبيعي، رأت الأخوين وقد استندا على الجدار

يضحكان. الأمر بسيط حقا .

وزداد الأمر سوءا ، الأيام الأخيرة كسرت بقايا الأوهام ، الأخ الأمل بدأ يتهاوى ، كثر فتح واغلاق الشبايك ، وأخذ يحشر جسده في الزوايا ، يقلقه النور الآتي من أية جهة كانت . يقول كلاما عاقلا فينشرحون ثم يعود إلى أحاديث خيبرتهم بها تكذب وهتهم ، لقد ألفوا كلامه الغريب . طول عمره يردد أقوالا الفوها فقد كانت تمثل قمة العقل والعلم فهل حديثه الآن هو نفسه ذاك أم ماذا ؟

هل كلامه معقول يجهلون أم تخاريف لايمكن أن تصدر عن الأخ الذي كان إذا تحدث صمت الآخرون ؟

— أنه يقول كلاما متوازنا .

— ولكنه غير معقول .

— وهل كنتم في يوم تفهمون مايقوله عبد الحميد ؟

— ولكن حديثه الآن غير .. شيء غير معقول . شيء آخر .

واختلفوا ، مضت أيام وهم مختلفون ، هل عبد الحميد يقول كلاما معقولا أم أنه فقد عقله . واحاطوا به

مرة أخرى ، لايزال يخرج الورقة ويعيدها .

— هاهو قاتلي ..

صمت برهة ، رفع رأسه ، ومد رجله بانفراج .

— قل لي ...

ومسحت عينه غير المستقرة من حوله ، نظر إلى أخيه الأكبر الذي دخل توا ، كان أقربهم إليه .

— قل لي .. حقيقة . هناك شيء غريب . مسحوق أبيض .. ها .. هذا المسحوق يتغلغل في كل مكان ..

هناك أناس هذه مهنتهم يقذفون الآخرين بهذا المسحوق القاتل . هل رأيتموه .. يرمونه من أي مكان من الأبواب .. الشبايك ، من كل فتحة ،

من كل مكان ينفذ منه نور ، مسحوق يرمى عليك فيلتف ويطاير حتى يحيط بنا . قل لي .. حقيقة ماهذا الشيء .. هكذا ..

وقابل كفيه ، باعد بينهما .

— هكذا .. يكبر .. ويكبر .. يمتد يدخل بين الجلد فينفخه يمتد .. يمتد .. سمعتمو . يغطي كل شيء ، ونموت . نموت .

وداراه أخوه

— فعلا .. ولكن لكل شيء علاج .

— لا .. إلا هذا .

جو مغبر، زاد المساء عتمة، تطاير
كل شيء في الجوى، حشرات تلطم
الجدران .

— نذهب إلى الطبيب . حقنة وكل
شيء ينتهي .

— لا .. هذا الأمر لا ينتهي . يأتون
بأشياء كثيرة ومتنوعة ..

الغبار يزداد، العفار يدخل من
كل الفتحات، جراد تائه يطش به
الغبار فتطاير بين الأرجل، سقطت
واحدة بين فخذه المكشوفتين فجرهما
بخوف واضح .

— هاهو ..

وتضاحك الأخ

— لا .. هذا جراد .

وعاد الاطمئنان اليه .

— أنت لم تجب عن سؤالى، ماهو
هذا الشيء الأبيض الذي يلقي على
وجوه الناس ؟

وران صمت احباط، وتابع ..

— تعرفون، يمكن الاستفادة من هذا
المسحوق، آه لو نعرف سره .. أين

انت لتراه، انه سيختصر الطريق .

— أي طريق

— الا تعرفونه . بهذا المسحوق سنغير

كل شيء، حينئذ سنتنصر ويتحقق
الحلم، وقتئذ سنضحك، أليس
كذلك . كل الذي اردته سيتحقق في
لحظة، يالها من فرحة غامرة . هل
جاء الوقت الذي نفرح فيه فرحة
حقيقية .. آه . فقط لو يتوقفون عن
القائه في وجوه الناس ..

واجهشت أخته بالبكاء، وكانت

عيناه محمرتين لاستجيبان لشيء ..

■ ■ ■

— ٢ —

حالة عابرة .. اطمئن .

الأمر بالنسبة له ليس عاديا،

أوراق التوصيات والتلفونات تشعره أن

هذا الشخص الذي سيمثل أمامه

يحتاج إلى جلسة خاصة، الاسم ليس

غريبا فحين قال له عبدالعزيز ان

عقله يزن كل بقايا عقولكم أيها

الاطباء، وتاريخه عريق، خدماته

الاجتماعية ومواقفه السياسية تضعه في

مقدمة الرجال، تذكره أخيرا، كان

يصول ويجول، شاهده وهو يقود

أمسك بالملف الأسود المتضخم
بالأوراق، فرصة طيبة بل انها ضربة
حظ طيبة فلاول مرة أحصل على
أوراق تفتح لي طريق الفهم . أكد
لي أخوه ان هذه الأوراق هي التي
شغلته طوال هذه الشهور الأخيرة،
لعلها تشير إلى تطور هذه اللحظات .

وراحت أصابعه تقلب الأوراق،
اسهم واشارات وملاحظات
واعترضات ، طريقة في الكتابة لم
يعتد على قراءة أمثالها .. وتأمل .

هذه الأوراق تفتح أمامي
اهتمامات جديدة: ثورات .. تمرد،
اغتيال، تخطيط، تغيير، ماهذا؟ هل
يمكن أن أحد شيئا مهما، وشدته
الأوراق التي بدأ يألفها ..

مقدمات في التنظيم الثوري (تخطيط أولي)

• لكي ننجح لابد من الدراسة
المتأنية لكل تجربة سابقة — لتكون
نظرتنا موزعة بين عناصر النجاح
والفشل حتى تثبت أقدامنا على أول
مراحل الطريق .

• واضح أن هناك أسلوبين من
العمل: أحدهما يسير هادئا، دعوات

مظاهرة عارمة، يومها انطبع صوته
الجمهوري القوي، تمنى أن يكون مثله
وظل بعد ذلك أطيافا واخبارا يسمعا
بين الحين والآخر، هاهو الآن يمثل
أمامه مريضا.. حالة عابرة، هل هي
حقا كذلك، أين كان عقله، أشياء
كثيرة تقال . مثل هذه الحالات تعتمد
على روايب قديمة، القضية ليست
جرثومة عابرة، ولكنها حالة تحتاج إلى
وقفة ودراسة، هل كانت تعود إلى
تلك الأيام المشحونة الذي تمنى أن
يكونه أم ..

وقلب صفحات كتاب فاستقر عند
صورة هيئة بشرية متغيرة، الأمر فعلا
يحتاج إلى نظر، هل هي حالة ادمان
يمكن السيطرة عليها، أم أن الروايب
أقدم من الشهور القليلة التي ذكرها
أهله، ولكن كيف تلاشت ارادته في
هذه الشهور حتى وصل إلى هذه
الحالة التي لا يصل إليها المتوازنون
مهما دفعتهم الظروف إلى الافراط ..
ارجو أن يكون الأمر كما قلت لهم،
ولكن مهنتنا تعتمد على الآخرين
كثيرا . حسنا لعل في هذه الحالة
فائدة مباشرة لبحثي ..

سرية يتعاقب العاملون بها حتى يحين
فيتحقق النجاح جزئيا أو كليا ..

الثاني: الضرب المباشر المؤثر
المقلق والمستمر، وهذا قد يوهن
الخصم ولكن النجاح بعيد وقد يستفيد
منه أصحاب التخطيط الأول في
إنجاح مخططاتهم .

• في التراث العربي أمثلة تفرض
نفسها، ففيها تكمن المداخل الرئيسية
لمثل دراستنا، وهي تقدم لنا انموذجا
للتلازم بين دقة التنظيم والنجاح،
وتقدم لنا أيضا الفشل المتدرج بين
النجاح الجزئي أو الانتهاء المباشر ..

• الخوارج: الايمان بالفكرة يتجاوز
المألوف إلى مراحل عالمية من
التضحية .

العقيدة: قائمة على التطابق بين
الايمان والعمل — الوسيلة: شجاعة
فائقة تناولتها أخبار معجبة — حركات
كثيرة باءت كلها بالفشل . الأسباب
واضحة، ان تلك العناصر الايجابية
افشقت الحنكة السياسية والتنظيم
المبرمج — حققت نجاحا جزئيا فيما
بعد في مناطق نائية .

• الزنج: قدمت طرحا اجتماعيا

لبعض القضايا لكن منهجها غير محدد
المعالم حتى انه اضاع هويتها
— مرحلة الكون قصيرة جدا — رغبة
الانطلاق السريع تحكمت في
قائدها — العناصر التي اعتمدت عليها
عبارة عن أقلية فتوية وسط محيط
كان يمكن الاستعانة به — لم تدرك —

أو تهتم — بأن الطرح الاجتماعي مع
الفكر المنظم يمكن أن يوسع القاعدة
(كما سنرى فيما بعد القرامطة)
النظام الذي اتبع في الثورة كان
تقليديا، لم تحافظ على الأرض التي
تكسبها، فاندفاعها إلى ما تحت جناح
الدولة ومركزها الرئيسي واستخدام
هذه كمنطلق ساخنة ساهم في
سقوطها — نجاح محدود في بضع

سنين ..

• القرامطة: حققت نجاحا لا بأس به
— قدمت طرحا اجتماعيا هاما .

المبدأ: العدل والمساواة — المجتمع
المتآلف حيث يخلف الذئب الراعي
على غنمه — يعود الإنسان كما ولد —
« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا
في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم
الوارثين » ..

— الى التفجير المسلح (١٢٧ هـ)
مدة كافية (هل يمكن المقارنة بين
نظامها الهيكلي ونظام الثورة
الجزائرية ؟) .

— هناك أسئلة يمكن أن نضعها
كمحاور أساسية حول كل دعوة من
هذه الدعوات لنرى امكانية تبين
صدق الصورة ومطابقتها للحقيقة التي
نلمسها من خلال النصوص
التاريخية. والى أي حد نستطيع
المقارنة بين هذه الحركات والثورات
الفاشلة والناجحة في عصرنا الحديث
.. ثورة ١٨٤٨ — كمونة باريس

١٨٧٠
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— هل تناقشني كمرضى ؟
— أنت بخير، لقد قرأت بعض
أوراقك ..
— ماذا ؟
— لائنس انني طبيب، ولكن، لقد
أصبحت أسيرا لها، أريد أن أعرف
.. تقول أن الثورات أصبحت
مشبوهة.
— وصر على أسنانه.
— كل شيء أصبح مشبوها.

وقد استطاعت الدعوة المنظمة
بجانب خبرة التاريخ والانتماء إلى
الحركات السرية أن تفيد هذه
الحركة — الدعوة تحركت في عدة
محاور — كانت الاستفادة غير
كاملة — فيما بين الدعوة السرية
والخروج سنوات قليلة — مقسمة إلى
أقسام — علاقتها فيما حولها غير
واضحة — كانت خليطا من عدد من
الأفكار — ايجابية التنظيم والطرح
سبب في تحقيق النجاح المبكر —
العلاقات الاجتماعية داخل الدولة
جديرة بالدراسة فهي التي حققت لها
الاستقرار زمنا — لأول مرة تقوم الدولة
بواجب تيسير الحياة للأفراد

• العباسيون: قدموا لنا النموذج
الناجح الذي اعتمد النفس الطويل
المبرمج والسرية المحكمة — بسطوا
الأفكار نفسها التي دار حولها كثير
من معاصريهم — هدوء تناول هو
الذي حقق كل هذا — بناء فكري
واضح .. كمون مفيد — تنظيم هيكلي
دقيق قائم على تحديد العلاقات —
الاعداد الدقيقة — مابين الاجتماع
الأول ٩٧ هـ (أو حول هذا التاريخ)

— اذن هو الاغتيال .

— قد يكون أي شيء من حيث لا تتوقع شيئا .

— من الذي دفعك إلى هذا ؟

— هو .. وحده الذي دفعني ، لأول مرة أحسست أن ماتحتي خواء ، هو لاغيره .

— من هو ؟

— لا عليك ، اردت فقط أن اثبت شيئا .

— ما هو .. وهل اثبتة ؟

صمت . واصل الطبيب النظر في أوراقه :

وسلط عينيه بثبات على الطبيب .

— هل تريد مني أن أحكي ..

— نعم ، احكِ لي .

• • •

— أفتت يومها على صوت مرافقي .

— هاهم .

صحراء منبسطة تغطيها عتمة أول المساء ، الحلقة الكبيرة تهمهم وقد تلاقى ظلام الرؤوس مع الصحراء ، بقية من اصفرار يعصب جبين الأفق ، حديث ممتد ، أجساد تنحني ثم تسجد متممة بقية الصلاة ..

تقاربوا فازداد التلاصق ، وانفرجت

لي بقعة في الصدر ، فانا ضيف عليهم ، لقد دعوني بعد أن أوحوا لي بأن أفكارهم لا تقبل المناقشة ، نفرت من محدثي ، ومع ذلك سكنت واستمعت إليه بهدوء وهو يؤكد لي انهم يحترمون أفكاري ويقدرونها لذلك لا مانع من أن يتبادلوا الأفكار ، بل انهم ذكروا صراحة أن هذا التعاون يجب أن لا ينظر على أنه تنازل عن خطتهم السابق .

كنت متخوفا : إلى أي حد يمكن لواحد مثلي أن يسير مع هؤلاء أصحاب النظر المحدود ، وهل يحتمل فكاهة التغير والتطوير ؟ ..

تخافتت الأصوات ، شبحه أمامي ، عيونته تخشق الظلام الزاحف ، احسست أن هدوءهم يناقض الصخب الحي الذي كان يميزنا ، ولكنهم هاهم يكادون لا يتنفسون .

وبدأت نبرة هادئة تبرز وترتفع ، وأحسست أن اذني مقصودة ، قال :

— نحن نريد اصلاح الامة .

وتسمت ، حاولت أن أقضي على حشجة معترضة لأظهر بمظهر الطرف المفاوض :

— كل القوى تريد هذا .

— اذن يمكن أن نعمل معا .

— ولكن .. ألا يمكن أن نتفق على معنى الاصلاح ؟ .. هل نستطيع مثلا ..

وقاطعني ونظر إلي بنظرة أحسست أنها ساخرة .

— ألا ترى أن الاتفاق على نقاط الضعف والفساد التي تريد ازلتها اجدى وأنفع وأكثر امعانا في الاقتراب وتوحيد القوى الذي طالما تحدثتم عنه .

— حسن . حسن .

ولاحقني الآخر، حينئذ يزداد لمعانها مع الظلام .

— اذن لماذا لا نصنع شيئا

وأحسست بذكاء خاطر يتحرك في داخلي .. قلت :

— هل أي شيء يمثل شيئا حقيقيا .. طريقتي في المحاورة لم تعجبه فقال باقتضاب .

— لا بد .

سكت قليلا، حملق ثم تابع :

— .. والا كيف نبدأ .. قد لانكون نحن الذي سيحقق شيئا، فمن يبدأ قد لا يظفر بشيء، وبدونه لا يكون

شيء .. سمعت .. اثارثني طريقتي، ولكن الغموض يحيط بهؤلاء الصغار، أحسست بالارتعاش حينما ادركت أنهم صغار، هأنذا أفصل نفسي عنهم، عن النبض الذي ظللت مؤمنا به حتى تلك اللحظة، هذا الحديث الواضح الهادى يغيبطني، عيناه لا تزالان تشقان الظلام الزاحف، لحظتنا تذكرت عينها وطريقتها في الكلام .. حين كانت الجموع الصاخبة تهدر وتزمرجر، وكنت يومها لسانا منهمرا يقطر حماسا، صدقني لم أكن أعرف من أين تأتي الكلمات ولكن اللحظات المحشودة تخلق مالا تتوقع، لقد استسلمت لى العقول والأجساد ..

— لا بد من تحطيم كل شيء .

وصاحوا ورائي :

— لا بد . لا بد . لا بد . يسقط الأعوان . لا بد . لا بد .

يومها كنت أفق على قمة عالية .

ورأيتها، حماس هادى، كلمات

عملية، وجمال لا يخطئه الناظر، عقلها

المنظم وسعة معلوماتها، التي لمستها

حين بدأنا نعمل كفرق عمل، كل

هذه لم تستطع أن تصرف النظر عن

تلك العينين الآسرتين، قلت لنفسي :
— ليتني أتزوجها ..

خاطر سريع وجد صداه في سني
التي بدأت تفرض نفسها عليّ وتدعوني
إلى تفكير لا أريده . وظل هذا
يتأرجح طوال تلك الأيام التي كنا
فيها معا .. ولكنه تلاشى إلى
الخلف، حينما حدثت تلك الأيام من
جموحها . بدأت اللقاءات تقل . لم
أجرؤ على الخروج من اطارى الذي
يميزني عن الآخرين . وطمست الأيام
الهائلة ذلك الخيط الذي حاولت أن
أمدّه .. واختفت .

ورأتها .. تجمع آخر حضرته على
الهامش فلم أكن أريد أن أحرّم
نفسي من المراقبة . رأيتها ، تغيرت
هيئتها ، كساها حجاب سابل ، أبيض
غطى الجمال الذي كانت عيناى
تسارقان النظر إليه ، ولكن الوجه
المستدير المتعافي وخط العيون
الواضح بالنظرات التي عرفتها لا تزال
باقية . يومها قتلني السؤال عنها ، وما
كان أحد بجانبى ، تحرقت شوقا
للمحديث إليها ولكنها في شغل آخر .
واستخدمت طريقتى في الكشف عما
أريد . وعلمت انها تزوجت ، وهذا هو

زوجها . يومها تمنيت أن أراه ، هذا
الذي استطاع أن يغطي هذا الجمال
بمثل هذا الحجاب ، أين ذهبت
كلماتها الدقيقة الحاسمة .. لقد ظفر
بها .

هأنذا جالس أمامه ، لعلها نفس
الرغبة الجامحة السابقة التي دفعتني
للقبول في أن أجلس هذه الجلسة .
المساء أخذ يخفي كل شيء حتى
توهان الأعين التي غابت في عالم
بعيد ، آه لو استطاع أحد أن ينفذ
داخل هذه الهياكل الجالسة لراى
عجبا .

حاولت أن أجاريه في طريقة
عرضه للأشور ، ملكني شعور العجز ،
لقد اعتدت أن استخدم الفاظا
وكلمات ومقولات وجدت حرجا
فيها ، كلّ لسانى عن العرض ، لقد
فرض عليّ مفردات جديدة ومسميات
تدعو إلى أن آلفها ، أردت أن أقول
شيئا . قلت :

— لا أدري كيف البداية ولكن .

وقاطعني :

— نحن ندري طريقنا ونفقه هدفنا ..
— لاشك أن الهدف واضح منذ زمن

طويل، تاريخنا الطويل يكشف
درايتنا ولكن الوسائل تحتاج إلى
وقت ..

— تذكرني بحديث مشايخ السلطة
حينما يرفعون أكفهم إلى السماء دون
يقين، التذرع بالوسائل حجة الخائف
أو العاجز، الوسيلة جزء من العمل.
لذلك لنفكر بالخطوات العملية.

— هذا أمر محفوظ بالمخاطر .. قد
قد لانجح ..

— واضح أن العمل عندك ينبع من
الشخص لا الفكرة أنت تفكر
بنجاحك لا بنجاح ماتؤمن به، هل
تعتقد أننا من اللاعنين، لقد سلطنا
أمرنا لله لذلك جعلنا المخاطر دبر
آذاننا ..

وغلبتني كلماتي فقلت :

— إن التكتيك الصحيح مرتبط
بالاستراتيجية .. وإن الأفكار ليست
مجردة ولكنها مجسدة ..

— النجاح مرهون بالعمل. يمكن أن
نختار أي جزء ونضرب، يجب أن
يحسوا بأننا موجودون ولا كلمة إلا
للحق .

— التفكير والتخطيط أمران واجبان.

— هل عملنا وفشلنا؟ .. على كل
حال نحن نعرف ماذا نفعل، المهم
أن تعلم أننا اخترناك لتكون حلقة
وصل جامعة. أفكارك — مع خلافا
معه — تحترم أساسياتنا التي نعتمدها.
جرححتني كلمة اخترناك فلم أعد
أتبين كلماته، وانتبهت على صوته وهو
يردد :

— .. لذلك نسألك سؤالاً محددا نريد
أن ننقله إلى العناصر الأخرى. إلى
أي حد تستطيع أن تتعاون معنا
وكيف؟

— في هذه المرحلة نستطيع — أقول
ان الإجابة قد يشتركون معكم في
اتخاذ بعض المواقف الوطنية ذات
الطبيعة الجماهيرية أو الملتصقة
بمشاعر الجماهير.

— قلنا أننا يجب أن نتجاوز هذه
الخطوط المرسومة والمعروفة بدايتها
وسيرها ومؤداها. نريد عملا إيجابيا.
يجب أن نضرب بسرعة ..

— وإذا لم ننجح؟

— يبقى الحل الآخر والأخير .

— الأخير؟

— نعم . الاغتتيال !

فأكشفه .. ومع ذلك صممت أن أريه
كيف كانت الثورات وكيف يخطط
لها .

علمت معنى هذه الأوراق التي
بين يديك . انها بعض ، بل بداية
الشيء الذي كنت أريده أن يسمعه .

ولكن لم يسمعه ..
وقال الطبيب :
— ألم تلتقيا ؟

— نعم التقينا ولكن لم تكن الصحراء
تجمعنا . موقفان عجيبان ، كان في
داخلني يحركني فأقضي الساعات
الطوال في البحث وأطل علي مرة
أخرى لموقف كل شيء .

لا تغزالي صورته ماثلة .. العينان
نفسهما ، التلطيف الأسود لم يبلغ ماكنت
أراه فيها هو هو لم تلغه الحواجز ،
كأنني ، وحدي ، المقصود بنظرة
الاحتقار تلك . يومها تذكرتهما ، حتى
الكاميرا لم تستطع أن تلغي ذلك
التأثير ، كان الشريط يطلق صوتا
متكتكا ، عيناه تشقان الشريط ، لم
تستطع اللقطات الجانبية أن تقلل من
الهيبة التي شعرت بها اراءه ، البريق
باق بينهما كان الحرس المدمجون

— اعتقد أن هناك نقطة جوهرية ،
وهي أننا لن نستطيع أن ندخل أو
نسمح لأحد بأن يدفعنا إلى القيام
بعمل غير ناجح ..

حملق باحتقار واضح ، أحسست
بكلمته المنتزعة من بئر كتوم .
— هكذا أنتم دائما .

ونفض يديه وصممت . جلستنا
أشرفت على نهايتها ، اردت أن اعيد
الاتصال معه مرة أخرى ، قلت :

— اعتقد أن هذه اللقاءات متكررة ،
— يصير خير ان شاء الله .

واشتعل داخلني بهواجس كثيرة
حول هذا التنظيم ، حز في نفسي أنني
لم المس في ختام جلستي تلك
النظرات التي اعتدتها ، كانت
خواطري تلهب أعماقي ، سأبحث في
تشكل وتكوين الثورات ، سأخاطبه من
واقع الحركات التي يعرفها لأريه أن
ما أقوله هو الحق ، حين يرى تجارب
الآخرين ودرائتي بها ، في اللقاء
الآخر سأعود وقد انتزعت من أصحابه
الاعجاب . خيالي يحاول أن يعوضني
عن تلك الليلة ، لعلي كنت خائفا أو
فاقدا لشيء لا أريد أن أكتشفه

يحيطون به ومن معه، وجوه عرفت
بعضها، لقطات الكاميرا تمر بسرعة
عليه فلا تغادره الا وهيمنة عينيه
باقية ..

سمعت أخبار الاقتحام، الاسماء
والظروف لم تكن بغريبة عليّ، أيام
حاسمة طويلة وأخبار متضاربة
لأنعرف من خلالها إلا القليل، ولكن
الحقيقة التي لم استطع أن ابتعد عنها
هي أنه هناك، في الداخل، لقد وضع
نفسه في بؤرة مشعة لا يستطيع أحد
أن يتجاهلها، تذكرت كلماته — نحن
ندري طريقنا ونفقه هدفنا — التذرع
بالوسائل حجة الخائف أو العاجز —
أخيرا اختار فأصبح موجودا، رفع صوته
وانطلقت بندقيته أفي البقعة التي
يقدها فكانت قبلته، هل فكرت
يومها حين رأيت وجهه الخاشع
والمتوجه نحو القبلة انه سيكون
محاصرا في قبلته. فكرت في كل
شيء إلا أن أراه في ذلك المكان
على تلك الهيئة. يومها لهث وراء
الأخبار، هل كانت معه في ذلك
الموقف، تخيلت ذلك الشعراء الشعر
المنسدل والعينين النافذتين وقد
غطاهما دخان البنادق ويران الجحيم

الأرضية .. كل شيء أصبح متعذرا
والقيت الأوراق التي تراها جانبا لم
يعد يعنيني الكتابة عن الثورات
والتنظيمات، والتنظير للثورة الناضجة
.. مضى الإنسان الذي أردت أن
أتحداه، وبقيت كلماته الأخرى
تشغلني، هي وحدها الباقية .. أتعرف
ماذا أقصد بكلماته الأخرى ؟

وتساءل الطبيب :

— ذكرني بها.

— الاغتيال !

— هل فكرت في أن تغتال أحدا ؟

— أردت أن أدرس فكرة الاغتيال،

لتتبع جذورها في تاريخنا .

— والفائدة ؟

— لنفعلها الطريق الوحيد، ألم يقل هو

أن هناك حلا أخيرا .

— وبعد ؟

— استهوتني الفكرة، وواصلت

الدراسة، لم أرد أن أكتب عن

الاغتيال كالثورات، الأفكار غير

المنطقية تحتاج إلى ما يلائمها، لذلك

كتببت الأوراق الأخرى . انظر إليها

.. انها تلك الصفراء .

• • •

بقايا غيش الليل، خطوات
متئدة حذرة، لمعان آلة القتل يلقي
شعاعا مضطربا. ملتصق في زاوية
من زوايا المسجد، تلمست يده
النصلين بارتياح، يقول لي أن
أعمل له رحي تطحن بالريح، لأن
سلمت لأعملن لك رحي يتحدث
بها من بالشرق والغرب. هل
أحسست يا عمر بوعيدي، أعرف أن
تسليمك يلقي حذرك ولكن آن آوان
الانتقام .. نعم. نعم. نجار نقاش،
حداد.. ولكنني قتال يا عمر،
قتال. درهمان أدفعهما كل يوم..
بيني وبينك أكبر من هذين
الدرهمين اللذين كنت تلتهمهما يا
مغيرة، آه يا أرضا ممتدة طويت
تحت الأقدام يا دين يا من طويت
مجدنا لتسط سجاجيدهم. اليس
هذا بكاف كي أقف هذه الوقفة،
يا عتمة الليل المتبقية متى
تنقشعين. أنا بالانتظار يا عمر!

* * *

رحمكم الله يا قتلى النهروان،
سنكفكف دمعنا، مع هذا الفجر
الآتي سيسدل ستار الظلمة،
ساعتك ستحين قبل الآخرين، آه
يا برك بن عبد الله يا صادقا، كل
شياطين معاوية لن تخبره بانتظارك،
ليتنني يا عمرو كنت معك حين
تجندل دهاء عمرو، وينتهي ليل
الأمّة، والآن يا أيها الليل متى
تذهب ليأتي؟ أين أنت يا علي،
الحكم لله لالك، وأنا في
الانتظار، لقد انتظرت طويلا،
فقتلني هدوء الأيام.. لولاك يا قطام
ما اشتعلت هذه الشعلة، عجا،
جمالك يهمني فأضاع كل تخطيط،
كدت أن أنسيني ولكن وقفتك
الشامخة التي ازدادت عتوا
بجمالك: لا اتزوجك حتى تشفي
لي.. يا لها من كلمة رائعة،
اشتفاؤك يساوي اشتفائي.. ثلاثة
آلاف وعبد وقينة و..

هذا آوان سداد بقية المهر،
الدراهم القينة لا يساويان جزءا
يسيرا من هذه اللحظة، هذه البقية
الباقية. ان مهرك سيتحدث فيه

المتحدثون يا قطام .. قتل علي !

* * *

— تقطع بها اللحم !

صدقتم، ومن أصدق منكما يا
هرمزان ويا جفينة، سأقطع
بخنجركما لحما تمنينا تقطيعه منذ
زمن، هذه فرصتنا. لا أدري ما
هي دخيلتكما الآن، اعرفكما
جيذا، طول عمركما تتناجيان
ولكنني وحدي الذي سيرفع
الصوت عاليا، ركبكما الآن
تصطكان، لن تستطيعا أن تشاهدا
هذه اللحظة المجيدة، ولكن هأنذا
اجمعكما في شخص واحد، انتما
معا في شخص واحد انتما هذان
النصلان ..

نعم يا عمر: نجار. نقاش. حداد.
وبعد لحظات سأكون قتالا. قتالا !

* * *

هذه بداية الحركة. انه
صوتك، ويل لأصوات منكرة، هذا
الوز يوقظ الهاجعين أنت تدفعها :
«صوائح تتبعها نوائح»، يا سيفي
ستدع الدنيا تنوح، يا نقيع السم
شهرًا، اريد كل هذا السم في

هذه اللحظة .. هاهو صوته مرة
أخرى. الصلاة. الصلاة. انها
لحظتك «لن يموت حتى يملأ
غيظًا، ولن يموت الا مقتولا»
هأنت غيظ يتحرك فآن أوان القتل،
لست بالشقي يا علي. تقول : ما
يمنع اشقاكم أن يخضب هذه من
هذه، بل سأكون شقيا إن لم
أفعلها .

لستعد لحيتك فسأخضبها من
دم الرأس. يا رفيقي استعدا،
سأجيب .. وردان. هاهو مهر قطام
يجمعنا. وهذا صوته .

— الصلاة. الصلاة !

* * *

أردت فقط أن اقترب منك
وأأملك، اقترب لأعرف كيف
أضرب، لقد تمنيت هذا منذ ذلك
اليوم المشؤوم، لعلك نسيتني ولكني
لم أبال يومها. لو كنت أمامي
لقتلتك في الحال، سبي نهاوند
تستقبلهم مدينتك .. يومها لم أملك
نفسي، لعل الأخبار وصلتك، هل
أملك إلا أن أمسح تلك الرؤوس
وأذرف الدمع .. لقد أكلت يا عمر

كم يشيع خوفا في النفس .. هاهي
أفدامك .

وتحسس النصلين، جرحه
ارتجاف عابر ضم كفيه واستعد .

* * *

أحس الآن بخوفكما، هل
اخافكما أبوالحسن، انني أيضا
ارتعش لقد قلت لك يا قطام : ما
أراك ذكرت قتل علي وأنت
تريدني .

آه .. طاشت ضربتك يا شبيب
.. طاشت، أين أنت يا وردان،
حملتك قدما الهرب، ولكني
وحددي سأصنع كل شيء، أنا
وحددي سأعلو سيفي . لم أعد
مُلجما فانا طليق . طليق . صنعت
كل شيء، وسيتم مهرك يا قطام ..

* * *

— خذها .

— أدركوا الكلب فقد قتلني .

انني لا اتنفس، لا أدري يا
خنجري ماذا صنعت، لم يبق لي
إلا أنت .

* * *

كبدتي . أكلت يا عمر كبدتي .
صرختُ عاليا لعلك صدقت تلك
الطُرفة . نعم طرفة من الطرف
حكاية الدرهمين تلك، هل تصدق
أن واحدا مثلي يأتي ليتحدث في
أمر درهمين . صدقت ماكنت
أدفعه ليس بالكثير علي، ولكني
دفعته من قبل شيئا كثيرا .. هذا
العمل الجديد كم هو خراجه .
كثير . كثير جدا . ذهب الذين
يدفعون .. اطمئن يا هرمزان لا
أرغب بشيء . متعتي أن ألج هذا
الخنجر من طرفيه في بطنك يا
عمر .

هل هذا يشفي، انني أرتعش
هاهم يستعدون، أناسك يسوون
الصفوف ويل لرجل زلت قدمه
أماما أو خلفا، لن اسمح لدرتك أن
تعتلي أي رأس .

سأضرب بنظام وستختلط هذه
الصفوف التي يرتبها لك صبحك
.. آه .. ها أنت . الثبات .
الثبات . يا كلَّ ألهتي . انني
ارتعش . يا ثبات الصانع . أنا بحاجة
الآن اليكما ابنتا اليدان . ثباتكما ،

هوامش وملاحظات :

أولاً : هل حقاً اتفق هؤلاء الثلاثة على الأمر، أم أن كل واحد سار بطريقه الخاص . هل هي مؤامرة عامة القصد منها قتل الامام علي وان البقية تغطية، والأصل هو الأول والا هل يمكن قبول هذه الصدف الغريبة حيث نجا الاخران، الأول لا يصاب إلا بجرح والاخر يتخلف . وهل كان الخبران الواردان عنهما صادقين . وتبقى بعد ذلك اشارة ابي الأسود الدؤلي الصريحة وكافها عليه إلى هذه المؤامرة .
أمر آخر، هذه القصة حول هذه المرأة الخارجية، كيف نقبل هذه الصدف المزدوجة، أن تكون جميلة، أن يشغف بها ابن ملجم حبا ثم تلقي مطالب مهرها مع ما كان ينتويه أصلاً . هذا أمر غريب يحتاج إلى تفسير . بل انها قصة محبوكة ..

ثانياً : ان الصورة واضحة بالنسبة لقتل عمر فابو لؤلؤة لم يكن وحيداً، فنحن أمام ثلاثة أطراف تشير إلى النقطة الرئيسية، فصلته بالآخرين لاشك فيها، وقد يكونون قد دبروا هذه المؤامرة .

حقائق :

أ - لما قدم سبي نهاوند المدينة جعل ابو لؤلؤة لا يلقى منهم احدا إلا مسح رأسه وقال : أكل عمر كبدي .

ب - شوهد مع الهرمزان وجفينة ومعهما الخنجر الذي قتل فيه عمر . وقد كان هؤلاء يجتمعون اجتماعات خاصة .

ج - كان كعب الأحبار ينبه عمر إلى أنه سيموت . هل كان هذا يعني أنه على علم بالموضوع واراد أن يبرئ ساحته أو يبعد اشتراكه ويلقي بالأمر على أمور غيبية .

ملاحظة مهمة وخطيرة :

الأمر الذي لا بد أن نقف عنده

وتحشرج السؤال في الحنجرة، تردد
في حلقه .. لم يعتد الحوار مع
هؤلاء، رغبتهم الطافية بالحدث
يكنمها التشاغل بالابتسامات غير
المشجعة أو باستجابة فاترة تمنع من
الاسترسال بينما يهدر الحديث
عنده حينما تحلو جلسة المساء مع
صحب ساخط . ولكنه هاهو يحاول
أن يفتح الحوار، يكسر حدة
الغيوبة التي عاشها مع أوراقه فقد
سقط كل شيء وأفاق على السطور
الكبيرة الغامضة :

قتلوه !!

جندلوه أخيراً !

كأنه كان غائبا عن هذا
العالم . كيف هذا وهو يعيش في
البؤرة، يا لها من سخرية فاقعة ،
بابه المقفل وأحلامه التي راحت
تنساب مع موضوعه الذي شغله :
(الاغتيال في التاريخ العربي) .
حقا انها سخرية عجيبة . الأسئلة
المزدحمة في رأسه انفلتت
خيوطها . ان هذه العناوين الفاقعة
تؤلمه .

هل جرؤ على أن يحلم بمثلها .

— ما رأيك ؟

في هاتين القضيتين هو .. أمر غريب
يعت على الشك ، لماذا نحن كذلك .
ان الاغتيالات كشفت عن هذه
الصورة الجديدة لنا . هاهي
الاغتيالات عندنا اما انها مشبوهة أو
متخبطة . وحصيلتها محزنة ، اننا نقتل
فقط الطيبين والناصحين والمخلصين .
ويبقى الآخرون لا يمسهم شيء .
وهذا أمر حقير . ولكن .. ولكن ..

• • •

— ٥ —

— لماذا ؟

— كان لا بد من أن أتوقف ..

الطريق مسدود أمامي .
• • •

أصل دائما متأخرا، هاهو سواد
الشعر الملتف، الرأس المتحرك مع
ميلان السيارة، كان سائق التوكسي
يهز رأسه عجباً .

— رجال .. رجال حقيقيون ..
ليس كذلك . أبطال

شفته ورأسه يتحركان، يده
تضرب على فخذه . بصق وناكف
من حوله، جسمه بعيد عن سيارته،

هز رأسه فاهتز كل جسده، مال مع سيارته قال:

رجال .. وهو. هو هذا رجل ابن امه وابيه حقيقة .

مامعنى رجل عندك .. سكت برهة، لم يحتمل السكوت.

رجل يعني رجل .. عند كلمته الذي يقول وينفذ .

نعم .. نعم. هذه. هذه. يقول وينفذ. هكذا يقال. يقول وينفذ .. حقيقة .

ولكن .. الا يفكر. يعني يتفحص .

يمكن. يمكن. لماذا لا ؟ ولكن التفكير قد يدفعه إلى أن يتراجع .

لا. هذه لا. الرجل لا يتراجع والا لماذا قال ؟

يفكر. من يفكر لا يغتال .

ولكن ألم يسبق الاغتيال تفكير . بلى .. تفكير في الاغتيال فقط .

أنت ترى هذا .. نعم. نعم .

— أنت سعيد .

— جدا .

ونقدته أجرته .

— ولكن صاحبك قد يقتلونه .

— لا .

هذه الـلا التي سمعتها بقيت عالقة، طريقته فيها الجزم .

— لا ..

عجيب هذا التفكير. لأول مرة لم استطع أن أحرك اهتمامي نحو التساؤل لقد انتهيت .

* * *

قال الطبيب :

— وبعد ؟

— لا شيء .

— أنت تعرف الحالة التي جئت بها. اخبرني ماذا بعد .. ؟

— قلت لك لا شيء. صدقني، جلست. مددت قدمي راحت عيني

تمسح ما حولي. ايملك مثلي الان أن يصنع شيئا، السؤال الذي أهرب منه

هو: لماذا أصل دائما متأخرا، كنت أظن أنني الأول دائما فكيف

أصبحت الآن الأخير. (لعلها هذه هي المشكلة التي لم أرد أن ابحت

عنها، ولكن هأنذا أمامك .

مددت قدمي، راحت عيني تمسح
ما حولي، لم يعد لدي ما أصنع،
أحسست أنه لا شيء يصنع، أدير رأسي
فيما حولي فأحس بالعجز. لقد انتهى
دوري، رأسي أصابه الخرس، مددت
يدي، كعادتي، إلى كأسي وجعلت
أنامل الهرب من التفكير، فأقع فيه.
كان عالما جميلا لأول مرة أحسست
أن كل عقبة يمكن أن تحل. اغمض
عيني فاجد ما أريده قد تم. هكذا
انتهى كل شيء واكتشفت أخيرا
معنى أن تمدد قدميك وتترك عينيك
تتحركان بحرية.

توقف كل قصد مما يضيقني أمر
واحد، رغبت في الهرب من هذا الأمر
يلح كثيرا .. الماضي الذي يطاردني.
ان اعود لأتذكر ماكنت أصنع. يعود
الأشخاص والأقوال إلى ذهني.
الحركة الخلفية أو الامامية لا
أريدها. أجمد كل شيء، أوسع
اللحظة، أمطها لتنبع فإذا هي عالم
غريب، وأمد يدي إلى ما حولي. آه
لذة. أليس كذلك. اللحظة تمتد.
تكبر تحارب التخشب وأنا وراءها.

ودب التوقف في كل متحرك أو
نابض، هكذا كنت. هكذا — واتوقف
أن ابقي و... لا عودة أبدا. ولكن
الآخرين ظلوا يطاردونني. حطموا
لحظتي.

هذا كل شيء ..

° ° °

قال الطبيب :

— قد يكون أكثر تماسكا مما نتصور
لعلها حالة عارضة ..
— ومع ذلك قد يعود .

° ° °

راح المسؤول الكبير يقلب طرفه
بين تقريرين ومساءل ضاحكا، ابهما
سيلغي الآخر: الداخلية أم العيادة
النفسية، وهمس:
— لا بأس .. لعل فيه فائدة.

° ° °

وتأمل عبدالحميد ورقة التعيين
(ملحقا بسفارتنا) .. وابتسم
باستهزاء، التفت إلى صديقه المرافق:
— اتذكر كلماتك التي ارتجلتها في
ذلك الحفل .

الحمراء التي اندست بين الجفن
والعين لتكسر تحجر أمتك يا هذا ..
يا ..

— وبعد ؟

— لقد سقطت كلمات مؤرخ فاشل ..
عليك أن تنقذ نفسك يا عبدالحميد .

ولكزه الآخر ..
— تعرف يا عبدالحميد انني لا
ارتجل، اردت أن أحبيك بطريقتك
فكتبت تلك الكلمات وحفظتها
وجلجل صوتي :

يا نبعة متفجرة، يا كل الكل . يا
ليل الفجر الصادق، انت ذرة التراب





سليمان بنخليفة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يزحهم قلبي الخنجره !

يقتل فيها النعم

الراقص

من عبارة مؤثرة .

يدفنها بالعمم

لا ينجل قلبي

حين يحبها

بطقس المبحرة .

لبنان !

إنّا قاتلوك الكثر

نحن المجزرة .

نحن الذين إذا أتيت
اليوم
كنا قبرة:
حكامنا الصبد الأباة المفخرة!
أرواحنا المدنرة.
دماؤنا المخثرة.
أقدارنا الملقاة في الأحلام
في كف البلاد
الأسرة!
وخيلنا المستنفرة!
نحار في ارتيادها
ما بين جمر الغرب،
ثلج الشرق،
أوريج
تبع <http://Archivebeta.Sakhril.com>
من معاطف الحواة
المبهرة .
صفراء
أرهمق الزمان، روحها
والقترة .
لبنان!
نحن المسخرة .
يزحم قلبي الحنجرة!
نبكي الفلسطينيين التي كنا وأدناها

بقاع المحبرة ،
ما كان من عطائنا
قنواؤ نخل
ثائرة .

يزحم قلبي الحنجرة !
يُقتلُ الجنوب
في لبنان ،
أو تُنهش منك المضغة
المظفرة ،
عراق !

يا زلزلة الشّطين
فوق الوجنات
النافرة .

وحيث لا تعدي اللغات
الفاخرة .

وحيث ترتج الصدور

الخائرة ،
يُهرج الشعاع في السراج
في حكمته: تُسرج ،
حين رقصة الذبالة
المُسخرّة .
ويُشتري الموت ولكن
يُشتري في الجلم
صفو جنسه ،

تُبَاع فيه الصورةُ الظمأى
وأخرى كدرة.

تندك !

نحبا عُهر غزو العاهرة ،

لبنان ،

ألف معذرة !

سليمان الخليفي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



حظر تجارة الأسلحة في الكويت والخليج العربي

١٩٠٠ - ١٩٠٦

للكتورة / نجاة عبدالقادر القناعي



مقدمة :



تناول هذا البحث موافقة الشيخ مبارك الصباح
(١٨٩٦-١٩١٥) على نحر تجارة الأسلحة في بلاده بتاريخ
٢٤ مايو ١٩٠٠، تلك الموافقة التي تسميها الأوراق الرسمية
الانجليزية «اتفاقية حظر تجارة الأسلحة».

ويركز البحث على هذا الاتفاق والظروف التي لا بدت
اعلان موافقة الشيخ مبارك، ولذا فالبحث محاولة لالقاء الضوء
على موقف الشيخ وكيفية تعامله مع السلطات البريطانية في
الخليج العربي واسلوب تعامل المقيم السياسي في الخليج
العربي والوكيل السياسي البريطاني في الكويت مع الشيخ
مبارك الصباح.

والله ولي التوفيق.

لم تكن تجارة الأسلحة في الخليج العربي قبل الثمانينات من القرن التاسع عشر تشكل خطورة كبيرة على المصالح البريطانية ولم تكن تحظى باهتمام السلطات البريطانية في الهند خاصة أنها كانت تجارة مشروعة حتى أواخر القرن التاسع عشر ولكن بعد الحرب الافغانية (١٨٧٨-١٨٨١) اختلف الأمر فقد برزت المشكلة بشكل واضح حين تأكدت الحكومة البريطانية سنة ١٨٨٠ أن هناك أسلحة قد وصلت إلى الافغانيين في «هرات» وأماكن أخرى، ولذلك بادرت حكومة الهند البريطانية بارسال تعليماتها إلى حكومة بومباي بضرورة التوقف عن منح تراخيص لتصدير الأسلحة لمواني الخليج العربي، كما طلبت حكومة الهند أن تتم مراقبة استيراد الأسلحة إلى كراتشي، وامتد الحرص البريطاني إلى أكثر من ذلك حين «أصدرت الحكومة البريطانية في الهند بيانا أصبح بموجبه حجز الأسلحة المرسلة إلى الخليج العربي ودول أخرى في المواني الهندية عملاً مشروعاً» (١).

ومما يجدر ذكره أن معظم الأسلحة (٢) التي كانت تصل إلى مواني الخليج العربي في ذلك الوقت تأتي من أوروبا «ومن ثم تجد طريقها إلى بلوخيستان وفارس وإلى أفغانستان ومقاطعات آسيا» ومن هنا جاءت مخاوف السلطات البريطانية من استمرار وصول الأسلحة إلى الخليج العربي، كما أن وصول تلك الأسلحة إلى القبائل الفارسية كان يثير قلق السلطات الحاكمة هناك، خشية أن تتمرد تلك القبائل ضد السلطة المركزية، كما أن وصول الأسلحة إلى أيدي القبائل في الحدود الشمالية الغربية للهند كان يساعد على الاستمرار في ثورتها ضد البريطانيين، خصوصاً وأن بريطانيا في الفترة (١٨٧٦-١٨٩٤) استطاعت بواسطة لجان الحدود، والحروب والمساعدات أن تجعل من أفغانستان منطقة عازلة بين الامبراطوريتين البريطانية والروسية (٣)، لكي تتمكن من مواجهة الخطر والنشاط الروسي وهكذا فقد التقت مصلحة فارس (٤) ومصلحة بريطانيا في ضرورة قمع تجارة الأسلحة،

وكان لا بد من التنسيق بين الدولتين في هذا المضمار، وبالفعل فقد صدر مرسوم فارسي في ١٨٨١ يقضي بتحريم تصدير الأسلحة إلى فارس، كما صدر قانون آخر حول هذا الخصوص سنة ١٩٠٠، وقامت الحكومة البريطانية من جانبها بلفت نظر الشركات التجارية التي كانت تمارس عملها تحت الحماية البريطانية إلى هذه الاجراءات والتطورات (٥).

أما الحكومة الفارسية فقد سمحت للسفن الحربية البريطانية بصادرة الأسلحة التي يعثر عليها في المواني الفارسية (٦).

هذا فيما يتعلق بالاجراءات التي اتخذتها فارس وبريطانيا في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من تلك الاجراءات، فقد ظلت تجارة الأسلحة تهدد المصالح البريطانية وذلك منذ ١٨٩١، اذ يذكر لوريمر أن انكماش تجارة الأسلحة في السوق الافريقية في اعقاب مؤتمر بروكسل عام ١٨٩٠ - الذي اعتبر تجارة الرقيق مرتبطة بتجارة الأسلحة في الساحل الشرقي لافريقيا - حول تلك التجارة إلى منطقة الخليج العربي (٧) حيث أصبحت منطقة مركزاً حيوياً لها. وتزايد تهديد تجارة الأسلحة للمصالح البريطانية في اعقاب الاضطرابات التي قامت بها القبائل الثائرة في الحدود الشمالية الغربية لهذه التي استخدمت فيها كميات من الأسلحة التي ثبت أن مصدرها منطقة الخليج العربي. وقد أدرك الكولونيل « ميسد » المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي خطورة هذا الأمر في اعقاب تقلده منصبه في عام (١٨٩٧) وقد لخص رأيه على النحو التالي :

« ان هذا الوضع سينتج عنه في فترة قصيرة أن يصبح كل سكان جانبي الخليج مسلحين ولديهم الذخيرة مما يشكل خطورة كبيرة على السلام والمصالح البريطانية » (٨). اذن لم يكن الخطر الذي يراه المقيم يكمن في تسرب تلك الأسلحة إلى الحدود الهندية فقط بل الخوف من أن تحتفظ قبائل الخليج لنفسها بالسلاح الذي يعد من وجهة نظر السلطات البريطانية خطراً يهدد السلام والمصالح البريطانية .

ولهذا السبب عملت الحكومة البريطانية على وقف تلك التجارة في الخليج العربي، والحصول على تعهدات من حكام المنطقة تتعلق بحظر تجارة الأسلحة في بلدانهم، بل كذلك الحصول على موافقتهم على قيام سفنها بتفتيش سفنهم في مياههم الإقليمية، ولاشك أن هذا الوضع كان يقوي من مكانة وسلطة البحرية البريطانية على هذه المياه لكي تظل هي السلطة الأعلى والأقوى، فهي لا تريد نقل جزء من سلطتها في الخليج العربي إلى جهة أخرى لأن ذلك يؤدي إلى انكماش مكانتها في منطقة تركز على التحكم فيها.

بدأت الحكومة البريطانية بمسقط واستطاعت بالفعل أن تحصل من سلطانها على تصريح في سنة ١٨٩٨ يوافق بموجبه على منع تصدير الأسلحة من مسقط إلى الهند أو فارس، كما وافق على اعتبار استيراد الأسلحة من الأعمال غير المشروعة، ولكن هذه الموافقة لم تكن تعني أن استيراد الأسلحة إلى مسقط أو إعادة تصديرها منها إلى جهات غير فارس والهند من الأمور غير القانونية، وبالتالي لم يحل هذا التصريح دون أن تبقى مسقط من أهم مراكز تجارة الأسلحة. فاستمر تصدير الأسلحة من مسقط إلى ساحل مكران ثم إلى أفغانستان (٩). وكان سلطان مسقط قد رفض سنة ١٨٩٢ أن تقوم السفن البريطانية بتفتيش السفن العمانية خوفاً من أن يدفع مثل هذا العمل رعاياه إلى «البحث عن الحماية الفرنسية» على الرغم من موافقته على منع تصدير الأسلحة إلى أفريقيا. (١٠)

ولكن هل كانت موافقة سلطان مسقط سنة ١٨٩٨ على منع تصدير الأسلحة إلى فارس والهند كافية للقضاء على تجارة الأسلحة في الخليج؟ الحقيقة لم يضع تصريح سلطان مسقط حداً لخاوف السلطات البريطانية. خصوصاً وأن هذه التجارة كانت تشكل دخلاً هاماً للسلطان (١١). بعد أن رفع رسوم الأسلحة إلى ٦% في ١٨٩٥. وهكذا أخذ القلق يساور السلطات البريطانية من أن يصبح الخليج العربي بأكمله مركزاً لتجارة الأسلحة ومنطقة

امهداد للقبائل على الحدود الهندية، فيذكر لوريير أن حوالي ٦٠٪ من الأسلحة كان يصل إلى فارس و ٢٥٪ إلى الاقاليم الخاضعة للحكومة التركية في الخليج و ١٥٪ إلى البلاد العربية الأخرى غير الخاضعة لتركيا» (١٢) ولذلك اقترحت الحكومة البريطانية على فرنسا تعديل الاتفاقيات الخاصة بالتجارة وزيادة الرسوم المفروضة على الأسلحة إلى سبعة ونصف بالمائة الا أن الحكومة الفرنسية لم تقبل بهذا الاقتراح (١٣).

نعود الان إلى محاولات السلطات البريطانية قع تجارة الأسلحة، الواقع أنه بالرغم من تعاون السلطات الفارسية وتصريح سلطان مسقط السابق الاشارة اليه إلا أنه كان لايد من الحصول على موافقة كل شيوخ الخليج العربي على حظر الأسلحة خاصة وأن تجارة الأسلحة هناك كانت نشطة، ففي البحرين منح « الشيخ عيسى بن علي آل خليفة » احتكار تجارة الأسلحة في بلاده عام ١٨٩٦، «لوزيره» «عبد الرحمن بن عبد الوهاب» وذلك في اعقاب الاضطرابات التي حدثت في البحرين سنة ١٨٩٥ والتي أدرك أثناءها الشيخ عيسى أنه بحاجة إلى الأسلحة، وقد التزم صاحب الامتياز بتزويد الشيخ بالأسلحة (١٤). إذن كان لايد من التحرك صوب البحرين للحصول على موافقة الشيخ عيسى على حظر تجارة الأسلحة في بلاده.

وبالفعل تم ذلك ووافق الشيخ في ابريل ١٨٩٨ على «منع دخول الأسلحة إلى البحرين والاراضي الواقعة تحت ادارة الشيخ»، وقد اصدر اعلاتا يوافق بموجبه على أن تقوم السفن البريطانية والفارسية بتفتيش السفن التي تحمل اعلاما فارسية أو بريطانية أو بحرينية في المياه البحرينية وأن تستولى على الأسلحة إذا كانت هذه الأسلحة محملة إلى مواني الهند أو فارس أو البحرين ولكن شريطة أن تكون تلك الأسلحة تخص رعايا «بريطانيا أو فارس أو رعايا سلطان مسقط أو حاكم البحرين».

. وقد صدر هذا الاعلان أو «الاشتهار» كما جاء في النص العربي في ٣٠ ابريل ١٨٩٨، هذا كما صدر اعلان آخر من جانب الشيخ يمنع بموجبه

بيع الأسلحة على المواطنين في البحرين (١٥).

أما قطر فإن الأمر بالنسبة لبريطانيا كان صعباً بحكم طبيعة العلاقات القطرية العثمانية، التي جعلت من قطر قضاء عثمانياً منذ عام ١٨٧٢.

موافقة الشيخ مبارك الصباح ٢٣ مايو ١٩٠٠

لم تكن الكويت في تلك الفترة مركزاً لتجارة الأسلحة، ولكن هذا لا ينفي أن تجارة الأسلحة فيها كانت نشطة فيذكر لوريمر أنه في ١٨٩٢-١٨٩٣ «استورد التجار الفرس حوالي ألف بندقية من نوع مارتيني هنري من الكويت» (١٦).

ولكن لم يكن من السهل على بريطانيا قبل يناير ١٨٩٩ أن تتدخل في شؤون الكويت وتفرض على حكامها حظر تجارة الأسلحة التي كانت مشروعة نظراً لعدم وجود علاقة تمنح بريطانيا هذا الحق.

إلا أنه كان لا بد وأن تمتد الإجراءات البريطانية لكي تشمل الكويت التي أصبحت تربطها منذ ٢٣ يناير ١٨٩٩ اتفاقية حاية مع بريطانيا، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان نائب الملك في الهند (١٨٩٩-١٩٠٥) «اللورد كرزول» عريضة على أن تشمل تلك الإجراءات الكويت تمشياً مع سياسته القائمة على تدعيم سيطرة الانجليز على منطقة الخليج العربي.

وفي إبريل ١٩٠٠ بدأ موضوع موقف الكويت من تجارة الأسلحة يشغل بال السلطات البريطانية عقب وقوع بعض المشاكل المتعلقة بتجارة الأسلحة في البحرين. وكنا قد أشرنا في الصفحات السابقة أن الشيخ عيسى آل خليفة منح وزيره امتياز احتكار تجارة الأسلحة، وقد نقل هذا الأخير هذا «الامتياز إلى الوكيل المحلي لبريطانيا في البحرين (أغا محمد رحيم) الذي نقله بدوره إلى الشركة الفارسية (فراسيس وتيمز وشركاهم) «على أن يتم اقتسام الربح معه» ولكن أغا محمد رحيم كان هو الذي يدير وكالة الشركة

في البحرين التي افتتحت عام ١٨٩٥، «غير أن الخلاف لم يلبث أن وقع بين اغا محمد رحيم والشركة في عام ١٨٩٨ حول الأرباح، وفي الوقت نفسه كان الشيخ عيسى قد بدأ ينزعج من ازدياد تجارة الأسلحة في بلاده ولذلك أمر بحجز أسلحة الشركة الموجودة في البحرين في يناير ١٨٩٨» (١٧) ولم يكن الشيخ عيسى ينوي عند حجز الأسلحة اجراء تحقيق حول ما إذا كانت الشركة قد خالفت شروط الترخيص الممنوح (١٨)، أو لمندوبها بشأن استيراد الأسلحة إلى البحرين، وهي الشروط الخاصة بالتراخيص عندما منح الشيخ الامتياز إلى «وزير» والتي تنص على عدم بيع الأسلحة في البحرين وقطر والساحل العربي عدا ساحل عمان (١٩)، ويبدو أن الشيخ عيسى وجد أنه من الأفضل إعادة الأسلحة المحجوزة (٢٠) الى مندوب الشركة، وقد أوضح رأيه بأن استيراد هذه الكمية قد تم بناء على طلب من «اغا محمد رحيم» الذي توفي في ابريل ١٩٠٠ ولم يكن لديه وكيل في البحرين .

لم تشجع الحكومة البريطانية هذا الاتجاه، بل وجدت أنه من الأنسب لها منع الشيخ من تسليح الأسلحة، أما المقيم السياسي فكان له رأي آخر يختلف عن رأي حكومته، كما عبر عنه في رسالته إلى حكومته في الهند وذلك في ٢٩ ابريل ١٩٠٠ <http://archive.sakhril.com> «بأن الحكومة البريطانية ترى أن شيخ البحرين حاكم مستقل فيما يختص بادارته الداخلية ومن حقه الاستيلاء على الأسلحة، ولا أرى كيف يمكن منعه من إعادة السلاح إذا رغب في ذلك، ثم ان الاستيلاء على الأسلحة جاء بمبادرة منه، وعليه الآن أن يتصرف بشأن التخلص منها ولكن في حالة ما إذا قرر الشيخ إعادة الاسلحة إلى الشركة فإنه يجب عليه أن يطلب منه مراقبة طريقها حتى النهاية أما فيما يتعلق بالشركة فانه إذا تقدم مندوبها للمقيمة البريطانية بشأن أي زعم من اضرار لحقت بهم نتيجة تصرف الشيخ فإنه يمكن للشركة تفصيل وتوضيح القضية للمقيمة لكي تبحثها وتتخذ القرار بشأنها» (٢١) .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما دور الكويت في هذه المسألة ؟

الحقيقة أن وجود الأسلحة في البحرين أثار مخاوف السلطات البريطانية في الخليج من احتمال وصولها إلى الكويت ولذلك فقد طرح المقيم البريطاني رأيه فطلب «عمل ترتيب» مع الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت بشأن استيراد الأسلحة كاجراء وقائي واقترح أن يذهب «جاسكين» مساعد الوكيل السياسي البريطاني في البحرين إلى الكويت (٢٢) لدراسة وتقصي موضوع تجارة الأسلحة هناك، وعقد اتفاق مع شيخها مبارك الصباح ومعالجة الضرر الذي قد يعود عليه من جراء وقف تلك التجارة ولكي لا تتعقد (٢٣) العلاقات الكويتية البريطانية اقترح المقيم البريطاني دفع تعويض للشيخ مبارك يساوي دخل سنة من رسوم استيراد الأسلحة التي يحصل عليها كعامل اغراء لحاكم الكويت، وأوصى المقيم البريطاني بعدم اللجوء إلى هذا الحل إلا بعد أن يستخدم «جاسكين» حصافته من أجل الحصول على الاتفاق دون حاجة إلى دفع أي تعويض. (٢٤)

لم تستحسن السلطات البريطانية في الهند اقتراح المقيم السياسي البريطاني بايفاد «جاسكين» وفضلت أن يذهب هو شخصياً إلى الكويت، أو يرسل أحد مندوبيه بدلاً منه.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أما موضوع التعويض فهو يشكل «سابقة مخرجة» ومن الأفضل الحصول على تعهد من الشيخ دون أي تنازل بريطاني، وإذا اضطر المقيم فلا بأس من طرح «اغراء» آخر غير النقود للحصول على موافقة الشيخ (٢٥). وإلى أن يتم عقد الاتفاق فلا بأس من أن ينصح شيخ البحرين باعادة الأسلحة المحجوزة للشركة بشرط عدم بيعها في البحرين أو قطر أو الساحل العربي: أما إذا كان من المحتمل عقد اتفاقية سريعة مع الشيخ مبارك فإنه من الأفضل تأجيل اعادة السلاح إلى الشركة إلى أن يتم عقد الاتفاقية» (٢٦).

نفذ المقيم السياسي البريطاني تعليمات حكومته وتوجه إلى الكويت وفي اثناء اللقاء مع الشيخ مبارك، ابلغه برأي الحكومة البريطانية حول ضرورة وضع حد لنقل الأسلحة داخل ممتلكاته. وقد رد عليه الشيخ مبارك بأن

الأسلحة لا ترد إلى الكويت «على نطاق واسع وأنه بالفعل اتخذ خطوات فعالة لمنع استمرار التجارة، لأنه يتفق مع السلطات البريطانية حول ضرورة وضع وحد لتجارة الأسلحة» (٢٧). وفي نهاية المحادثات بين الجانبين وافق الشيخ مبارك في ٢٤ مايو ١٩٠٠ على عقد اتفاق يقضي بحظر استيراد وتصدير الأسلحة وقد جاء فيه مايلي: «أوافق على أن أ منع كلية استيراد الأسلحة إلى الكويت أو تصديرها منها. ولكي أ فرض هذا أصدر اعلانا وتصريحا بهذا لكل من يعنهم الأمر» (٢٨).

هذه الموافقة عبارة عن تعهد من طرف واحد وهو الشيخ مبارك (٢٩).

ولتطبيق حظر تجارة الأسلحة صدر الاعلان التالي: «ليكن في علم كل من يرى هذا الاعلان أن الاتجار في السلاح ونقله من الهند وفارس أمر محظور، لذا قررنا بذل كل ما في جهدنا لكي تساعد الحكومتين البريطانية والفارسية في وقف هذا النقل غير القانوني وعلى هذا نعلن أنه من يوم صدور هذا الاعلان فان استيراد الأسلحة والذخائر إلى الكويت والأراضي التي تحت حكمنا أمر ممنوع، وأن جميع الأسلحة والذخائر التي تستورد مستقبلا سنستولي عليها ونصادرها» (٣٠).

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وأكد الاعلان موافقة الشيخ على السماح للسفن الحربية البريطانية بتفتيش السفن التي ترفع الاعلام الفارسية، والبريطانية والكويتية في المياه الاقليمية للكويت وأن تصادر كل الأسلحة والذخائر التي توجد عليها (٣١).

وهكذا نلاحظ أن موافقة الشيخ مبارك لم تكن نتيجة لما تشكله تجارة الأسلحة من خطورة على مركزه بل جاءت الموافقة على الحظر بسبب خطورتها على المصالح البريطانية ولذلك فقد كان من الامور الصعبة على الشيخ أن يلتزم بمنع تجارة الأسلحة، خاصة وأنه كان في حاجة ماسة إلى تلك الأسلحة لتنفيذ خططه ومشاريعه العسكرية في المنطقة، هذا بالإضافة إلى أن قيام الكويت بمد المناطق المجاورة بالأسلحة يضاعف من مكانة وقوة الشيخ مبارك وتأثيره على مجريات الأمور في الخليج وشبه جزيرة العرب.

ومما هو جدير بالملاحظة أن الاعلانات السابقة لم تشر إلى السفن التي ترفع الاعلام الاجنبية غير البريطانية والفارسية، ولقد لفت هذا الأمر نظر المقيم السياسي البريطاني الذي أبلغ حكومته في ٢٨ مايو ١٩٠٠ أن السفن التركية التي ترفع العلم التركي والموجودة في المياه الهندية تخضع لتفتيش السفن الحربية البريطانية والفارسية دون اعتراض الاتراك على ذلك بعكس السفن التركية التي ترفع العلم التركي داخل مياه الكويت فان قيام السفن البريطانية بتفتيشها يسبب احراجاً للسلطات البريطانية المحلية خشية الاساءة إلى علاقاتها مع الدولة العثمانية. (٣٢)

ومن المعروف أن الحكومة البريطانية كانت تحاول في تلك الفترة تجنب توسيع دائرة الصراع مع الدولة العثمانية، كما أن نزاعها مع الدولة حول تبعية الكويت كان في مراحله الأولى.

موقف الشيخ مبارك من تجارة الأسلحة (١٩٠١-١٩٠٦):

لقد كانت وجهة نظر المقيم السياسي البريطاني في الخليج أن الشيخ مبارك الصباح سيلتزم بمواقفه السابقة وبالاعلانات التي تلتها، كما كان يرى أن موقف الشيخ سيكون له تأثيرات إيجابية على مسألة حظر تجارة الأسلحة، لأن تجار السلاح في مسقط وفي أماكن أخرى سيद्रكون أن تجارة الأسلحة مع الكويت محظورة وبالتالي فان المتاجرة معها تشكل خطراً عليهم وعلى تجارتهم، وقد أثبتت الأحداث أن موافقة الكويت على حظر تجارة الأسلحة في أراضيها وقيام السفن البريطانية بمراقبة وتفتيش السفن في المياه الإقليمية الكويتية لم تحل دون استمرار تجارة الأسلحة، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فان منطقة الخليج العربي دخلت مرحلة هامة وحساسة بدأت منذ سنة ١٩٠٢ عندما نشب الصراع بين «آل رشيد» و«آل سعود» ذلك الصراع الذي وقف خلاله الشيخ مبارك موقف المؤيد لابن سعود، وقد أمد الشيخ مبارك «ابن سعود» بما احتاجه من امدادات مكنته من السيطرة على الرياض في يناير ١٩٠٢، وفي الوقت نفسه كانت السلطات البريطانية

ترقب عن كذب تطورات الأحداث في شبه الجزيرة العربية، مبدية تعاطفها مع «ابن سعود خلال نزاعه مع ابن رشيد» حليف الاتراك، كما كانت ترقب الاخطار التي تهدد الكويت بسبب الغارات التي يشنها عليها «ابن رشيد» خلال تلك الفترة.

المهم أن هذه التطورات والاضطرابات جعلت تجارة الأسلحة من الأمور الحيوية، إلا أن هذه الأحداث وموقف الشيخ مبارك منها لم يكن يعني افعال بريطانيا لتجارة الأسلحة بل كان يهملها استمرار الخطر، ففي سنة ١٩٠٤ وجدت الحكومة البريطانية في الهند أنه من الأفضل أن تدخل تعديلا على ما جاء في اعلان سلطان مسقط سنة ١٨٩٨ الخاص بتجارة الأسلحة والذخائر والذي يتعرض فقط للأسلحة المتجهة إلى مواني فارسية حتى ولو كانت تلك الأسلحة تخص رعايا بريطانيين أو فرس أو مواطنين مسقطيين ولذلك فإن الضعف في هذا الاعلان يكمن في عدم أحقية السفن البريطانية في مصادرة الأسلحة المتجهة إلى ميناء آخر مثل الكويت أو أن تكون الذخيرة الحربية تابعة لاحد رعايا أي دولة غير مذكورة في الإعلان، اذن كان لابد من مراجعة الاعلان المذكور واستبدال عبارة «مواني هندية أو فارسية» بعبارة «مواني هندية أو فارسية أو تركية أو أملاك شيخ البحرين أو شيخ الكويت أو شيوخ الساحل المهادن» كما اقترح حذف عبارة «إذا كانوا من أملاك ورعايا بريطانيا أو فارس أو مسقط.» (٣٣)

هذا بالإضافة إلى اقتراح آخر تقدمت به السلطات البريطانية تطالب فيه بزيادة القوات البريطانية التي تتولى تفتيش السفن في مياه مسقط الإقليمية، ومع ذلك فقد ظهر عائق آخر وهو أن السفن التي تحمل السلاح قد تذهب من مسقط إلى مواني أخرى تابعة لسلطان مسقط لإيجرم فيها نقل السلاح ومن هناك تنقل إلى الكويت أو إلى أي ميناء آخر (٣٤).

وعلى أي حال فإن عدم جدوى الاجراءات البريطانية هو الذي أثار هذه الأمور، خصوصا وأن معلومات كانت قد وردت إلى المقيم السياسي

البريطاني حول علاقة الشيخ مبارك الصباح بتاجر الأسلحة الفرنسي «جوجير» الذي كانت له اتصالات مع الشيخ مبارك يعود تاريخها إلى أوائل ١٩٠٢، وكان لهذا التاجر مركز في مسقط منذ ١٨٩٩، كما كان يقوم بزيارات متكررة إلى مواني الخليج العربي وظلت تجارته منذ ١٩٠١ آخذة في النمو. والحقيقة أن «جوجير» لم يكن وحده الذي يمارس تجارة الأسلحة في الخليج بل كانت هناك عدة شركات أوروبية مثل مؤسسة جيوتي التابعة لشركة بيجو (٣٥).

وبالإضافة إلى المعلومات الخاصة بعلاقة الشيخ مبارك بالتاجر الفرنسي فقد وردت معلومات أخرى إلى المقيم السياسي البريطاني بأن هناك كميات من الأسلحة وصلت إلى الكويت، إذن كان لابد من إجراء حوار سريع مع الشيخ مبارك حول هذه المعلومات، وبالفعل توجه المقيم السياسي «كمبول» إلى الكويت وناقش مع الشيخ مبارك المعلومات السابقة وذكر له أن هناك أكثر من سفينة قد أحضرت أسلحة من مسقط إلى الكويت وأنها لم تتوقف في أي مكان بين مسقط والكويت مما يعني أن الأسلحة موجودة في الكويت، إلا أن الشيخ مبارك لم يقل منه هذه المعلومات منى صحتها وأبلغه باستحالة قيام رعاياه بادخال أسلحة للكويت، وقد جرت العادة على أن تأتي السفن محملة بالأسلحة من مسقط ولكنها تنزل حولتها في المواني الفارسية مثل «هنديان» أو على الجانب التركي من شط العرب وذلك بالتواطؤ مع الحراس الأتراك هناك وبما أن معظم الأسلحة التي كانت تصل إلى الكويت تأتي إليها من مسقط فقد طرح الشيخ مبارك خلال لقائه مع المقيم السياسي البريطانية عدة استفسارات حول تجارة الأسلحة في مسقط وعن الأسباب التي تجعل بريطانيا عاجزة عن وقف مجيء الأسلحة منها (٣٦).

لم يقتنع المقيم السياسي البريطاني بما ذكره الشيخ مبارك وأصر على أن سفينتين محملتين بالأسلحة قد وصلتا إلى الكويت وأن على الشيخ الاستيلاء على الأسلحة ومصادرتها بموجب اتفاق ٢٤ مايو ١٩٠٠ وكان المقيم يعلم أن

الأسلحة لاتزال في السفينتين وذلك بموجب معلومات حملها اليه أحد الوكلاء في الكويت .

وتذكر الوثائق أن مالا يقل عن ١٣٢٦ بندقية من نوع مارتيني هنري تعود إلى تجار بريطانيين وصلت إلى الكويت في الأسبوع الأخير من فبراير سنة ١٩٠٤، كما باع بعض الرعايا البريطانيين في نفس الوقت تقريبا ٣٥٢ بندقية و٤٠,٠٠٠ طلقة للتجار المسقطيين، ومعظمها يصدر إلى الكويت وجيرانها (٣٧). وتشير الوثائق إلى أن «جوجير» كان قد زار الكويت في فبراير عام ١٩٠٤، مما أثار مخاوف الانجليز خشية أن تنجح محاولته في اقامة فرع لتجارته في الكويت وقد أكد المقيم السياسي البريطاني للشيخ مبارك رفض السلطات البريطانية أن تكون هناك علاقة بينه وبين التاجر الفرنسي «لأن مجرد وجوده في الكويت يثير الشك بوجود أسلحة في الامارة» . غير أن الشيخ مبارك أكد للمقيم البريطاني أن «جوجير» جاء إلى بلاده للعمل في التجارة المشروعة وأنه لن يسمح له بالبقاء فيها إذا ما اتضح له أنه يتاجر في السلاح .

لم يقتنع المقيم السياسي بموقف الشيخ مبارك، ولذا أبلغه بأنه مالم يلتزم بالاتفاق السابق فان الحكومة البريطانية لن «تلبى رغبته» (٣٨).

وعلى أي حال فقد كان الأمر معقدا بالنسبة لبريطانيا، لان الاعلانات الخاصة بحظر تجارة الأسلحة أغفلت العديد من الأمور الهامة. مثال ذلك المتاعب والمشاكل التي قد تواجهها بريطانيا من جراء الاستيلاء على أسلحة تخص سفينة تابعة لدولة أجنبية أوربية ومصادرتها ومثال ذلك أيضا قيام شيخ الكويت بمصادرة الأسلحة التي قد يحملها التجار على ظهر سفن أجنبية روسية مثلا وذلك بموجب موافقته الصادرة في ٢٤ مايو ١٩٠٠ بشأن تحريم تجارة الأسلحة في بلاده. أما بالنسبة للتحكم في نقل الأسلحة بواسطة السفن الكويتية فان هذا يستلزم — من وجهة نظر المقيم البريطاني — وجود سفينة حربية بريطانية دائمة أو أكثر في الكويت لمراقبة نشاط السفن

الكويتية وللتأكد من عدم حملها للأسلحة وانزالها في الكويت .

ونستخلص من الرسائل المتبادلة بين المقيم السياسي والوكيل السياسي البريطاني في الكويت والسلطات البريطانية في الهند أن التحكم في تجارة الأسلحة في الكويت كان من الأمور الصعبة ، خصوصا وانها تحقق ربحا للشيخ الذي كان يعاني في سنة ١٩٠٤ من ضائقة مالية ولذلك كان رأي المقيم السياسي اعطاء الشيخ منحة مالية، يليها تهديد بقطعها اذا لم يلتزم باتفاق الحظر. كما كان من رأي المقيم السياسي البريطاني أن الأسلحة التي تصل الكويت لن يسمح الشيخ بمرورها إلى أيدي خصومه كابن الرشيد، وانما يحتفظ بها لسد احتياجاته من الأسلحة واحتياجات أصدقائه في نجد وأن الكويت ستكون بمثابة مركز لتوزيع الأسلحة « للجناب الفارسي من الخليج ». كالحمة والطرف الشمالي للخليج (٣٩). وهكذا فان ردود الشيخ مبارك الصباح لم تضع حدا للشكوك البريطانية، بل أن المعلومات التي وصلت المقيم السياسي في أواخر مارس ١٩٠٤ من مساعد الوكيل السياسي في البحرين والتي حصل عليها من أحد الأشخاص واسمه « خيس أفندي » وآخر اسمه « محمد بن مرزوق » الذي زار مساعد الوكيل في ٢٠ مارس ١٩٠٤ تؤكد علاقة الشيخ مبارك بتاجر الأسلحة الفرنسي. فتذكر المعلومات أن هناك أحد تجار الأسلحة الفرنسيين توجه إلى الكويت وعرض على الشيخ أن يوافق على احتكار تجارة الأسلحة في بلاده مقابل ضريبة يدفعها التاجر إلى شيخ الكويت وهي عبارة عن ضريبة استيراد قدرها ١٠٪، وشرح أن نسبة الاستيراد تصل إلى ١٢ر٠٠٠ بنديقة شهريا مما يعني أن الفائدة التي ستعود على الشيخ كبيرة كما أن التاجر طرح اقتراحا آخر في حالة عدم موافقة الشيخ على الاقتراح الأول. وبموجب الاقتراح الثاني فان التاجر على استعداد لأن يبيع ١٢ر٠٠٠ بنديقة شهريا للشيخ مبارك سعر البنديقة الواحدة (٣٠ دولارا غساويا) وهو سعر بيعها في مسقط .

كما أعرب التاجر الفرنسي عن رغبته في شراء بيت في الكويت . إلا ان

الشيخ مبارك رفض طلبه الأخير وأعطاه سكناً بدون مقابل . ويقال ان الشيخ مبارك استدعى تجار الكويت المشتغلين بتجارة الأسلحة وطرح عليهم عرض التاجر الفرنسي فكان ردهم أن ضريبة الـ ٣ دولارات عن البندقية التي يدفعها التجار إلى الشيخ تعادل الـ ١٠٪ على السعر الأصلي ولذلك كان رأيهم هو عدم اعطاء التاجر احتكار تجارة السلاح (٤٠).

ومن الواضح أن الحكومة البريطانية كانت حريصة منذ سنة ١٩٠٢ على عدم القيام بأعمال — إلا عند الضرورة — قد تثير الحكومة التركية كما أنها لم تكن ترغب في إثارة مسألة سيادة الشيخ أو استقلاله نظراً لمطالبة الدولة العثمانية بتبعية الكويت لها ومن هنا فإن السلطات البريطانية كانت تفضل أن يقوم الشيخ مبارك بنفسه بمصادرة الأسلحة، وقد أثبتت في أواخر مارس ١٩٠٤ مسألة ما إذا كان الاستيلاء على أسلحة في ميناء الكويت سيثير التساؤلات حول مركز الشيخ ؟ ولكن هناك رأي طرحه وزير الدولة في الهند بأنه من غير الملائم تأكيد المصالح البريطانية علانية فيما توافق الحكومة التركية التي يرميها فتح تجارة الأسلحة في شمال بلاد العرب ، على أن تقوم السلطات البريطانية بتفتيش كل السفن التي تدخل مياه الكويت الإقليمية دون تمييز لمسألة السلطة التي بمقتضاها يمارس الشيخ هذا الحق ، أو تمارس بمقتضاها بريطانيا حق التفتيش في المياه « الإقليمية التركية » في الخليج خارج شط العرب ، دون الإشارة بصفة خاصة للكويت على أساس أنه بموافقة « السلطات التركية » يصبح الموقف البريطاني آمناً أمام كل المعارضين (٤١).

أما بالنسبة للشيخ مبارك فإن المهم بالنسبة لبريطانيا هو قطع علاقته بالتاجر الفرنسي تلك العلاقة التي استمرت تشغل السلطات البريطانية في الخليج ، ففي ١٩٠٥ ارسل المعتمد السياسي البريطاني في مسقط « الميجور جراي » — الذي شغل منصبه في يناير ١٩٠٤ — إلى الوكيل السياسي في الكويت معلومات مفادها أن التاجر الفرنسي يحمل رسالة من الشيخ مبارك

الصباح يدعوها فيها إلى الاتجار بالسلاح في أملاكه ، وأن التاجر احتج لدى الحكومة الفرنسية ضد المقيم السياسي البريطاني الذي يضع العقوبات في طريق تجارته ونقله للسلاح ، وفي أعقاب وصول هذه المعلومات إلى المقيم السياسي طلب من الوكيل تقصي الموضوع والسعي للحصول على نسخة من تلك الرسالة ، والتأكد من تاريخها . ولما استفسر الوكيل من الشيخ مبارك أنكر بشدة أمر الرسالة ونفى أن يكون هو أو أي فرد من أسرته أو من كبار التجار قد وجه مثل هذه الدعوة إلى «جوجير» وعلى العكس من ذلك فإن لديه رسائل كان قد كتبها إلى التاجر الفرنسي يرفض فيها أن يكون هناك أي علاقة بينها وبينها ووعد الشيخ مبارك بإرسال هذه الرسائل إلى المقيم السياسي . أما بخصوص الأسلحة فهو يرى أن هناك كميات قليلة من الأسلحة وصلت إلى الكويت .

وتشير الوثائق إلى أنه في أثناء اللقاء الذي تم بين الشيخ مبارك والوكيل السياسي البريطاني حضر «الحاج علي» - وكيل «جوجير» في مسقط - لكي يستأذن من الشيخ مبارك للذهاب إلى مسقط لتصفية حساباته مع تاجر الأسلحة الفرنسي ، فقال له الشيخ أمام الوكيل البريطاني « اذهب إلى جوجير وأسأله يقول أن لديه رسائل مكتوبة إليه مني ، وهو يعرف جيداً العدد الكبير من الرسائل التي أرسلها إلي وإلى «السيد خليفة» (٤٣) ولم يتلق أي رد عليها » .

ويعلق الوكيل السياسي البريطاني على ذلك بقوله أن هذا الموقف من الشيخ يكفي لتوضيح موقفه من جوجير (٤٣) .

ويبدو أن الشيخ مبارك كان قد أجرى اتصالات مع تاجر الأسلحة الفرنسي إلا أنه كان يحرص على عدم التصريح بذلك أمام الموظف البريطاني (٤٤) .

على أي حال فإنه في هذا الوقت وبينما كانت السلطات البريطانية في الخليج تحقق في طبيعة العلاقات بين الشيخ مبارك وتاجر الأسلحة الفرنسي

وصلت رسالة إلى الوكيل السياسي في الكويت مفادها أن شخصاً يسمى «ماسونت» يعمل في صناعة الأسلحة «ليبيج» لديه رسالة من الشيخ مبارك الصباح مؤرخة ٢٣ سبتمبر ١٩٠٥ يرد فيها الشيخ على رسالة من الشركة التي تعرض خدماتها وقد جاء في الرسالة ما يلي: «استلمت رسالتكم باللغتين الفرنسية والالمانية بتاريخ ١٩ اغسطس بشأن الأسلحة التي ترد عموماً من مسقط، اذا كنت تريد معاملات مع الناس هنا في هذا النوع من السلع، فاني أأمل أن يكون مرضياً، ويسر التجار بدء التعامل معك، وسأحاول جاهداً أن أحي مصالحك في هذه التجارة ويسرنا أن نمذك بعنوان التجار المشهورين والذين من الممكن أن تعهد اليهم بسلعك إذا أردت شحنها».

أما رد الشركة فقد جاء على النحو التالي: «تلقينا رسالتكم ولم نفهمها بوضوح، سنعين وكيلاً إذا شئت أو اعطنا اسم وعنوان تاجر يعمل وكيلاً لنا». ويقال ان الشيخ مبارك قال لمتزج رسالة الشركة «أنه يريد الدخول في مفاوضات معها حول تجارة الأسلحة ولكنه لا يفهم لماذا يضع الانجليز العراقيل في طريق استيراد الأسلحة والذخائر (٤٥)». وهكذا نلمس من الرسالة السابقة أن الشيخ مبارك قد وسع علاقاته بشأن تجارة الأسلحة. وكان الوكيل السياسي البريطاني يعتقد بأن الرسالة التي عرضها جوجير صحيحة.

وعلى الرغم من محاولات المعتمد السياسي البريطاني في مسقط الحصول على نسخة من الرسالة التي عرضها جوجير إلا أنه لم ينجح في ذلك وكل الذي ابلغه به القنصل هناك أنها مؤرخة في نهاية ١٩٠٢ أو بداية ١٩٠٣. أما رأي المقيم فهو أن التصريح الذي يعرضه القنصل الفرنسي له أساس من الصحة وأن تاريخه في ١٩٠٢ تقريباً، وأن استخراجه في هذا الوقت الحاسم من المباحثات الفرنسية البريطانية حول تجارة الأسلحة بمثابة احتجاج موجه من فرنسا ضد السياسة البريطانية الرامية الى منع تجارهم من المتاجرة في الأسلحة مع الكويت، وهذا الاعتقاد هو الذي دفع المقيم السياسي إلى التخمين بأن استعداد الفرنسيين للدخول في مباحثات مع الانجليز قد يكون

بدافع الاعتقاد أنه بينما يحصلون من الانجليز على تعويض سياسي أو مالي لانفسهم أو لسلطان مسقط لتعاونهم في قمع تجارة الأسلحة من مسقط فانهم سيتركون رعاياهم أحراراً في تنفيذ العمليات في الكويت (٤٦).

وعلى أي حال فقد ظلت فرنسا ترفض التعاون مع البريطانيين للحد من تجارة الأسلحة حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

وعلى الرغم من التعهدات التي حصل عليها الانجليز، وتشدهم في حظر تجارة الأسلحة، فقد استمر وصولها إلى الكويت إذ تشير الوثائق إلى أنه في ديسمبر ١٩٠٥م وصلت كميات كبيرة من الأسلحة بواسطة سفينة محلية، مما دفع المقيم البريطاني إلى أن يطلب من الوكيل السياسي ابلاغ شيخ الكويت بوجوب اطلاع السلطات البريطانية على هذا الأمر.

هذا وقد لخص المقيم السياسي (٤٧) موقف الشيخ مبارك من تجارة الأسلحة والوضع بشكل عام على النحو التالي:

« ان الشيخ ينفي دائماً خوفه «للافتاق» إلا أنه لم يظهر أي رغبة جادة في التعهد بقمع التقل بطريقة فعالة، وإن اسباباً سياسية تتعلق بالنضال والمعارك بين ابن سعود وابن رشيد من أجل السيادة على نجد ودقة وضع وكيلنا السياسي عند وصوله إلى الكويت جعل من الصعب على السلطات البريطانية الوصول إلى نتيجة مباشرة مع الشيخ مبارك في الموضوع، وأصبح عمل تلك السلطات محصوراً في لفت نظر الشيخ من وقت لآخر إلى شحنات السفن الكبيرة التي تصل الكويت ومحاولته تتبع تشعبات التجارة.

ومن الملاحظ أنه خلال الاشهر الأخيرة من عام ١٩٠٥م زادت تجارة الأسلحة وكان وكلاء شركة البواخر الملاحية الهندية البريطانية قد جذب انتباههم إلى أن كميات كبيرة من الأسلحة تشحن إلى الكويت بواسطة باوخرهم على أنها أشياء أخرى، وإن هناك سفينة روسية «تروفر» تحمل السلاح إلى الكويت، انزلت ٢٥ صندوقاً من الأسلحة في أواخر

١٩٠٥ (٤٨). ويذكر لورير أنه كانت تصل إلى الكويت حوالي ١٠٠٠
بندقية شهرياً (٤٩).

هذا بالإضافة إلى التصريح الذي منحه الشيخ مبارك لجوجير، وكان
المقيم يرى أن الأمر غير واضح فإلى أي مدى تستطيع السلطات البريطانية أن
تمنع الكويت من أن تصبح مركزاً لتجارة الأسلحة بدون أن تقر أولاً
الحسابات مع الدول الأخرى المهمة وقد طرح المقيم بعض الاقتراحات وطلب
من حكومته أن تزن التكاليف النسبية وفوائد الاقتراحات التالية :

١ - اعطاء تعويض للحكومة الفرنسية للموافقة على وقف تجارة السلاح في
مسقط .

٢ - تقديم الاعانة إلى سلطان مسقط بالشكل الذي لا يعرضه إلى أية
مضايقات .

اتباع نفس الأسلوب مع شيخ الكويت وذلك في مقابل :

أ - إزالة كل القيود على نقل السلاح على الساحل الغربي للخليج
عمان وقارسي .

ب - البدء في اتخاذ إجراءات منظمة بالتعاون مع الحكومة الفارسية لنقل
التجارة على هذا الجانب الذي يهم السلطات البريطانية أساساً
بالحراسة الدقيقة للسواحل الشرقية للخليج المذكورة (٥٠) .

وبشكل عام استمرت التجارة في الكويت ولم يلتزم الشيخ مبارك
بمظهرها بشكل نهائي لأنه كان يرفض ذلك وكان رأي الوكيل السياسي في
الكويت في سنة ١٩٠٦م أن فرض منع التجارة بالقوة قد يصبح عبء في
طريق عودة العلاقات الودية بينه وبين الشيخ والتي كانت قد وصلت وقت
ذاك إلى حد الانقطاع .

والجدير بالذكر أن الشيخ مبارك الصباح كان يرى أن منع الاستيراد
يقصد به الاستيراد المتجه إلى مسقط في حين كان المقيم البريطاني يرى أنه
« في حالة الغاء اعتبار مسقط سوقاً تجارياً للأسلحة فإن قدراً كبيراً من

التجارة سيتحول الى الكويت» (٥١).

ويبدو أنه يقصد أن رأي الشيخ الذي طرحه أكثر من مرة حول ضرورة وقف مجيء الأسلحة من مسقط إنما يرمي إلى جعل الكويت محل مسقط في هذه التجارة. وهكذا استمر الشيخ مبارك في سياسته بشأن تجارة الأسلحة إلا أنه كان يحاول مداراة البريطانيين.

وفي مارس وابريل سنة ١٩٠٦ وردت معلومات إلى السلطات البريطانية في الخليج العربي حول وصول كميات كبيرة من الأسلحة إلى الكويت وفي ذلك الوقت لم يكن الشيخ مبارك في المدينة بل في الجهراء، فأبلغ الوكيل السياسي ولده الشيخ جابر المبارك تعليمات حكومته بضرورة بذل أقصى الجهود في سبيل منع تجارة الأسلحة، وعندما عاد الشيخ مبارك استأنف مناقشة الموضوع مع الوكيل السياسي خصوصاً موضوع علاقته بتاجر الأسلحة الفرنسية جوجير حيث أكد الشيخ موقفه السابق بأنه لم يرد على رسائله كما أكد الشيخ مبارك للوكيل السياسي في رسالة له أنه تجاهل رسائل جوجير من أجل «راحة السلطات البريطانية».

كما أنكر وصول أسلحة إلى الكويت إلا بكميات قليلة وذلك للأغراض الخاصة وليس للتجارة، وأشار الشيخ مبارك إلى أن التاجر الفرنسي المذكور زار البحرين علناً ولذلك فإن الشيخ يرى أن هناك تناقضاً بين سلوكه وسلوك سلطان مسقط وشيخ البحرين، وذكر مبارك أن جوجير عندما زاره حاول أن يغريه بضرورة وفائدة الاحتفاظ بممثلي قوتين أو أكثر في بلاده وذلك لكي يحدث شد وجذب بينهم ويستفيد الشيخ من هذا الموضوع. إلا أنه رفض هذا الاقتراح ولذلك فهو يتساءل كيف يقبل الوكيل السياسي تقريراً عن مبارك بهذا الشكل (٥٢).

ولكن كان رأي الوكيل أن لدى السلطات البريطانية أدلة بما فيها الكفاية على أن الأسلحة ترد الى الكويت بكميات كبيرة وأن أحد التجار في السوق قد أبلغه أن الضريبة على كل بندقية وصلت ستة دولارات، وأن

التهاجر كان سيعطي الوكيل معلومات أخرى هامة إلا أنه — الوكيل — فضل الابتعاد عنه لكي لا يسبب للتاجر مشاكل .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوكيل أوضح للشيخ مبارك أن الرسائل التي تصل من وإلى تجار السلاح المشهورين في الكويت ترد إلى مكتب البريد التابع للوكالة البريطانية التي قدرت دخل الشيخ السنوي من تجارة الأسلحة بحوالي مائة ألف دولار، وأن منع استيراد الأسلحة إلى الكويت هو الذي تركز عليه بريطانيا بسبب تهريب الأسلحة إلى القبائل الثائرة على الحدود الهندية ولذلك فقد نصحه الوكيل بالالتزام باعلان مايو ١٩٠٠ وأن يردع بشدة هذا النقل وأنه يستطيع ذلك إذا أراد .

أما الشيخ فقد كان يرى أنه ملتزم بالاعلان إلا أنه من الضروري أن تمنع السلطات البريطانية تجارة الأسلحة في مسقط .

أما بخصوص المائة ألف دولار فقد ذكر الشيخ أنه بحاجة إليها . إلا أنه سيتعاون مع السلطات البريطانية وأنه سيقبل من بجارة السفن الكويتية الحصول على شهادة رسمية من قنصل الحكومة البريطانية في مسقط بأن حولة سفنهم مشروعة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وعلى أي حال فقد لخص الوكيل السياسي رأيه حول الحوار السابق مع مبارك واعتبره « بمثابة تحذير رسمي من بريطانيا للشيخ الذي لن يهتم به ، وأن تصريح مايو ١٩٠٠ لا يساوي الورقة التي كتب عليها ، صحيح أن الأحوال هدأت بعد التحذير إلا أنها حالة من الواضح أنها لن تدوم » (٥٣) . كذلك الحال بالنسبة لتجارة الأسلحة فقد هدأت إلا أنها لفترة مؤقتة . فقد استمرت الأسلحة الفرنسية تخرج من مسقط إلى مكران ثم أفغانستان وكان في مسقط سنة ١٩٠٦ حوالي مائة أفغاني نصفهم يعيش على حساب جوجير (٥٤) . وظلت التجارة مزدهرة الى ١٩١٠ — ١٩١٢ حين فرضت بريطانيا حصارا بحريا على تهريب الأسلحة من مسقط (٥٥) .

خاتمة :

وهكذا نلاحظ أن هناك عدة عوامل وظروف كان لها انعكاساتها وتأثيرها على تجارة الأسلحة في منطقة الخليج العربي وعلى موقف الشيخ مبارك الصباح من تلك التجارة .

ولقد لمسنا أن الشيخ مبارك أعلن موافقته على حظر تجارة الأسلحة بطلب ومبادرة من بريطانيا أي أن تجارة الأسلحة بالنسبة له لم تكن تشكل خطورة على مصالحه ، على العكس من ذلك فنحن نعرف أن الشيخ مبارك كانت له مشاريعه وخططه السياسية والعسكرية في المنطقة وكان يتطلع إلى أن يلعب دوراً فعالاً في أحداثها وبالفعل استطاع تحقيق جزء من تلك التطلعات ، وبالتالي فإن الأسلحة تشكل عنصراً فعالاً وهاماً بالنسبة للشيخ مبارك الصباح في تلك الفترة الدقيقة من تاريخ الخليج وشبه جزيرة العرب إلا أنه اضطر إلى الموافقة على الطلب البريطاني الذي لم يلتزم به لأن ذلك لا يتفق مع مصالحه كذلك الحال بالنسبة لبريطانيا التي كانت تعلم أن الكويت هي مركز امدادات الأسلحة لابن سعود وبالتالي فإن حظر التجارة سيؤثر على توازن القوى بين ابن رشيد وابن سعود .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وقد لاحظنا كيف أنه كان من الأمور الصعبة على بريطانيا أن تتحكم في تجارة الأسلحة في المنطقة وأيضاً من الصعب على سفنها أن تقوم بتفتيش كل السفن في الخليج العربي خاصة تلك السفن التي ترفع الاعلام الاجنبية وفي مقدمتها السفن التي ترفع العلم العثماني مثل السفن الكويتية ، أو تلك التي يكون ربابنتها «نواخذتها» يحملون الجنسية العثمانية . ولاشك أن مسألة تبعية الكويت والخلاف البريطاني العثماني حوفا (١٩٠٠-١٩١٤) قد عقد أمر تجارة الأسلحة بالنسبة لبريطانيا التي كانت تفضل عدم اثاره أي موضوع يتعلق بهذه القضية .



الهوامش :

- (١) لوريير - دليل الخليج - القسم التاريخي، الجزء السادس. ص ٣٧١ «ترجمة ديوان حاكم قطر».
- (٢) كانت أكثر أنواع الأسلحة هي البنادق والطلقات التي تستورد من أوروبا والتي تسمى في الخليج «الضقان - والفشق».
- (٣) روبرت جيران لاندن - عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصورا - ترجمة محمد أمين عبدالله - اصدار سلطنة عمان - وزارة التراث القومي والثقافة. ص ٢١٨.
- (٤) وبهذا الخصوص كان المقيم السياسي في الخليج العربي سنة ١٨٧٩ يرى أن المسؤولين عن حكومة فارس وسلطنة الساحل اعتادوا على وجود السفن الحربية البريطانية وكانوا يعترفون دائما بالفائدة التي تعود على بلادهم من وجودها.
- (٥) لوريير. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧١٢ - ٣٧١٥.
- (٦) د. جمال زكريا قاسم. دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤. ص ٣٨٠ - ٣٨٢.
- (٧) لوريير. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧١٢.
- (٨) Busch - Britain and the "Persian Gulf" 1894-1914 P.277
- (٩) د. جمال زكريا قاسم. المرجع السابق. ص ٣٨٠ - ٣٨٢.
- (١٠) لوريير. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧١٥ - ٣٧١٨.
- (١١) يقول روبرت جيران لاندن «لعدة سنوات كان قتل البلاد من استيراد الأسلحة يشكل ربع الدخل العام من المبيعات» انظر المرجع السابق ص ١٣٦.
- (١٢) لوريير. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧١٨.
- (١٣) المصدر السابق.
- (١٤) لوريير. المصدر السابق ص ٣٧٢٣.
- (١٥) I - OL/P.S/20 - C 158 D NO 9 (a)
- «مقاولة مع حاكم البحرين لاجل دفع تجارة الأسلحة».
- مقاولة البحرين المؤرخة في ٨ ذي الحجة ١٣١٥ (مطابق ٣٠ ابريل ١٨٩٨).
- اشتهاار المصادر من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين في ٨ ذي الحجة ١٣١٥ (مطابق ٣٠ ابريل ١٨٩٨).
- اعلان من حاكم البحرين المؤرخ ٨ ذي الحجة ١٣١٥ (مطابق ٣٠ ابريل ١٨٩٨).
- (١٦) لوريير. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧٢٣.
- (١٧) لوريير. المصدر السابق ج ٦ ص ٣٧٢٢ - ٣٧٢٥.
- «انشأت شركة فراسيس وتيمز وشركاهم أول وكالة لها في الخليج في يوشهر عام ١٨٨٧»
- لوريير - المصدر السابق - ص ٣٧٢٣.

I—O—L, P. S/10 /112 ENC. 2— in NO 111 — BUSHIRE. (١٨)
29 TH APRIL 1900. from captain C. A KEMBALL POL — RES IN P. GULF
TO SEC. TO THE GOV OF INDIA FO — DEP.

(١٩) لوزير. المصدر السابق.

(٢٠) ظلت الأسلحة معجوزة حتى يونيو ١٩٠٦ حين اعيدت إلى الشركة.

L.O/L/P.S 10 122— ENC 2 no. 111 — Bushire 29 th April, 1900 (٢١)
From Kemball, Pol Res in P.G to sec to the Gov of India fo — dep

(٢٢) في أغسطس ١٩٠٤ تم تعيين الوكيل السياسي البريطاني (نوكس) (Knox).

L.O L/P.S/ 10/112 — ENC no. 3 Telegram No 124— 10 th May - 1900- (٢٣)
from Pol — Res in P.g - Bushire, to— Sec— Simla

I—O L/P—S/103/112 - Enc 5 te/- NO 130- 16 th May - 1900 - from (٢٤)
P—RES in P. Gulf - Bushire to Fo- Sec. Simla.

L.O L/ P.O /103/112
Enc 6-Tel-No 1063- 19 th May 1900 from Sec. Simla to Pol-Res in P. Gulf
Bushire. (٢٥)

I—OL/P—S/ 10/110 - 112 - Enc 4- Tel- NO 1023 15 th May 1900. From (٢٦)
Sec. Simla to Pol- Res in P. Gulf - Bushire.

I—O L/P-S/ 10/112 Enc. 8 No 142 Bushire- 28th May 1900 from (٢٧)
Kemball Pol — Res in P. gulf to sec. Gov to India for. Dep.

I—P L/P—S/10/112— from Kemball Pol - Res P.g to sec to Gov of India (٢٨)
F.O, Dep.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(٢٩) هذا هو شأن معظم الارتباطات بين بريطانيا وحكام الخليج العربي في القرن التاسع عشر
والربع الأول من القرن العشرين والتي تطلق عليها الوثائق الانجليزية كلمة معاهدات
واتفاقيات. تلك التعهدات والارتباطات التي اضطر الحكام الى التوقيع عليها تحت ضغط عوامل
داخلية وخارجية يأتي في مقدمتها الضغط البريطاني.

I—O L/P-S/10/112 - Notification by Sheikh Mobarak Bin Sabah chief of (٣٠)
Kuwait.

I—O L/P-S/10/112 - Proclamation from Sheikh Mobarak Bin-Sabah (٣١)
» ٢٤ محرم ١٣١٨ — ٢٤ مايو ١٩٠٠ م «.

I—O/L/P.S/10/112-Enc 8-No 142- Bushire- 28th May 1900- from (٣٢)
Kemball- Pol-Res in P.gulf to sec. to Gov of India for Dep.

I.O L/P.S/10- 112- NO. 18 of 1904 Gov. of India. for Dep. to the Right (٣٣)
Honble st. John Brodrick H.M. sec. of India.

I—O L/P.s/10/112- No 18 of 1904 Gov of India- Fo Dep to the Right (٣٤)
Honorable st John brodrick. H.M. Sec- of India.

(٣٥) لوزير. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧٢٨

وتعيد الإشارة إلى أن نظرة الانجليز إلى عدم مشروعية تجارة الأسلحة مع مشيخات الخليج العربي أدت إلى تخلي عدد من المصادر عن الانجليز عن جانب كبير من تلك التجارة، مما أفسح المجال أمام التجار الفرنسيين للقيام بهذا الدور.

روبرت جيران لاندن - المرجع السابق ص ١٣٧.

I-OL/P.S/10/112- No/26 dated Bushire- 4th March 1904 (confidential) (٣٦)
from Kemball-pol. Res- in the p.Gulf. To thr sec. to the gov of India in-Fo-
Dep.

عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن كان النشاط الملاحي التجاري للسفن العمانية يركز جهوده على تجارة الرقيق وتهريب الأسلحة وذلك في اعقاب تدهور النشاط الملاحي مع الهند. انظر روبرت جيران لاندن، المصدر السابق.

1. OL/P.S/10-112. No 91-1 ST March 1904. From captain Gray pol. (٣٧)
Agent-Mascat to colonel Kemball P.R. in the P.G.

IO L/P.S/10/112- NO 62 Dated bushir 4th March 1904 (confidential) (٣٨)
from Kemball pol. Res in the sec to the gov of India the F. Dep.

I-O L/P.s/10/112 copy of letter No57 dated 26th March 1904 from (٣٩)
Gaskin Assistant p O L Agent Bahrain to Kemball-C.I.E. pol Res. in P.G.

L.O- oL/P.s 10/112. Copy of letter- no.57 dated 26th March 1904. From (٤٠)
Gaskin-Assistant pol-Agent-Bahrain to lieut- colonel CA Kemball.

LO L/P-s 100/112 No. 78 of 1904 gov of India Fo-Dep. To the Righte (٤١)
Honorable John Bonbrick H.M.Secy of state of India -31st March 1904.

(٤٢) السيد خليفة. يبدو انه أحد تجار الأسلحة المعروفين في ذلك الوقت.

LO-L/P.S/10/112 No. 585-Bushire (Rec 9th Jan 1906) Memorandum. (٤٣)

(٤٤) «لم تكن المخاوف البريطانية تتركز حول الأسلحة بل أيضاً كان يهتما أن تمنع أي اتصالات فرنسية مع الشيخ مبارك خصوصاً وإن جوبير كما ذكر الشيخ قال له انه من الاحسن أن يحتفظ في بلاده بأكثر من قوة لكي يستفيد من النزاع لصالحه».

LO.L/P.S/10/112- No. 585. Bushire. (Rec 9th Jan 1906). (٤٥)

LO.L/P.S/10/112 No. 585- Bushire. 31st Dec 1900. (Rec 9th Jan 1906) (٤٦)
from Major cox Pol. Res In P. Gu to sec to Gov of India for Dep.

(٤٧) يلاحظ أن رأيه هنا جاء على العكس من رأيه الذي طرحه في اعقاب موافقة الشيخ على حظر التجارة.

LO/L/P.S/10/112- No. 585 Bushire- 31st Dec 1900 (Rec 9th Jan 1906) (٤٨)
From Major Cox- Pol. Rec in P.G to sec to gov of India Fo-Dep.

(٤٩) لوزير. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧٣٥.

LO/L/P.S/10/112-No. 585 Bushire- 31st Dec. (Rec 9th Jan 1906)From (٥٠)
Major cox - opl. Rec in P.G. to sec to gov of India fo - Dep.

LO-L/P/10/112- No. 1942- Bushire 19th Received 27 Aug 1906 P. Res. (٥١)
in P.G to sir Louis Dane. Sec to Gov of India fo. Dep - Simla.

L OL/P.S.110/112 (٥٢)

ترجمة رسالة بتاريخ ٢٤ صفر ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩ ابريل ١٩٠٦ من كابتن نوكس الوكيل
السياسي في الكويت إلى الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت.

LO/L.S/10/112 No. 227 3re July 1906. Captain Knox pol. Age-Koweit to (٥٣)
cox pol. Res in the P.G Bushire.

(٥٤) لوريمر. المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧٥٩.

(٥٥) روبرت جبران لاندن. المرجع السابق ص ١٣٦.



ولا يزال الطريق طويلاً طويلاً



لم يبق إلا ساعات معدودة، ثم
ينسحب الليل أمام نور الفجر الجديد
.. وعندما يبدأ الصباح ينشر خطوطه
البيضاء التي تتسلل عبر النافذة
الصغيرة .. يكون هو قد أنهى المدة
المحكوم بها عليه في السجن ..
يشعر عبدالدايم بضعف وهو يحاول
أن يستعيد أنفاسه .. لم يبق إلا

فتح (عبدالدايم) فيه الكبير ..
يتشأب .. ثم أخذ يفرك عينيه ..
ويجذب نفساً عميقاً .. يمرر أصابع
يديه في كتفيه .. يدلكها بشدة ليبعد
عنه البرد الذي تسرب إلى عظامه ..
ويدير عبدالدايم نظراته في زنزاتته
الصغيرة .. ثم ينهض من فوق حصيرة
بالية استخدمها فراشاً له .. يتندب ..

تصطدم كلماته بشيء غريب
ينبعث من عيني الجاويش عطية ..
لا يمكن .. انها دموع !!! دموع
حقيقية .. رجل الأمن يبكي ؟؟
لا يصدق .. يلتقط كلمات الجاويش
عطية .

— انه قضاء الله يا عبدالدايم .. قضاء
الله يا عبدالدايم !!

تندفع الكلمات منه بلهفة ..
— ماذا هناك يا حضرة الجاويش
عطية ؟؟ ماذا هناك ؟؟

— مستخرج إلى الدنيا يا
«عبدالدايم»، في اللحظة التي تهوي
فيها يد الخلافة على حياة الآخرين ..
انه قضاء الله .. قضاء الله يا
«عبدالدايم» !! ولا حول ولا قوة إلا
بالله ..

— وينفذون حكمهم يا حضرة
الجاويش ؟؟ يعدمونهم .. يعدمون
الأبطال ؟؟ محال ؟؟ محال ؟؟

يرتفع صوته دون أن يدري ..
وتتغير نظرات الجاويش عطية ..
وفجأة، تغيب عن عينيه الدموع ..
تلمع نظراته بالخوف والرهبة .. ثم

القليل، يا عبدالدايم !!! الرطوبة
شديدة .. يفرك كتفيه حتى تتدفق
فيهما الدماء .. يقترب من النافذة
الصغيرة وهو يتم .. يا رب !!

أصوات غريبة تخرق أذنيه ..
تسري الرعدة في داخله .. وقد بدأ
ذهنه قلقاً مضطرباً .. ودقات قلبه
تسارع بشكل غريب ..

يسمع خطوات .. يمد رقبته وهو
يرفع رأسه يطل من خلال القضبان
التي تعائق نافذة زنزاته .. يكم
أنفاسه .. الشبح يقترب .. انه
الجاويش عطية، يسير في الممر ..
يضرب الأرض بحذائهم .. تعجيراً عن
سطوته .. وقد اختفت الأصوات
الغريبة ..

تلتقي النظرات .. ينتفض
(عبدالدايم) يخيل اليه أن شبح ابتسامة
قد زحفت على شفتي الجاويش
عطية، وكأنها ترقص تحت شارب
الكثيف .. يشعر بارتياح .. ويبدله
الابتسامة وهو يسأله هامساً ..

— ماذا هناك يا حضرة الجاويش ؟؟؟
هيه ؟؟



ARCHIVE

يواصل سيره في الممر وهو يضرب بصرحه مأمور السجن والمسؤول المنتدب الأرض .. بجذائه .. beta.Sakhril.com وزارة الداخلية .. هذا المتهاذي

ببذلة أنيقة مستوردة .. لونها بييج فاتح .. ويطل الرباط الأحمر من ياقة قبصه الأبيض الناصع !!

تدور عينا سي عبدالدايم ويسرع من وراء نافذة الزنزانة .. تتحجر حدقتاه .. يرتفع الصوت الرخيم .. (حسبنا الله ونعم الوكيل .. اللهم احصهم عددا .. ومزقهم بددا ..

يتراجع (عبدالدايم) عن النافذة .. يخفي وجهه براحة يديه .. ينحني، ثم يلقي بجسده على الأرض فوق الحصيرة البالية .. بعد أن تملكه الذهول وأصيب تفكيره بشلل جعله يبدو للحظات وكأنه غائب عن الوجود .. الخطوات قوية، والضجيج يتزايد .. فالجنود المسرعون يتقدمهم ضابط

ولا تدع منهم أحدا..)

قاماتهم شاذة .. وجوههم يطفح
منها نور الايمان .. وتتحرك شفتا مأمور
السجن ، فيرتفع صوت الضابط في
وجه الجنود .. انتباه !! ويستعدون
لانهاء مهمتهم .. يالها من لحظة تلك
التي تفصل ما بين الموت والحياة ..

يبدأ الموكب .. فيلقي نظرة أخيرة
على مشهد وسط خضم من القلق
والترقب .. والصورة أمام عينيه ..
الوجوه تبتسم بعذوبة فيها كبرياء ..
وعيون يشع منها نور الكرامة ..
وقامات شاذة كالجبال .. وأصوات
كأنها ملائكة ترتل .. حسينا الله ونعم
الوكيل ..

وما أن تنتصب تلك القامات
الشاذة بالكبرياء والكرامة .. والعيون
اللاهثة وراء الموت تلاحقها .. حتى
ينتهي كل شيء .. وفي لحظات ..

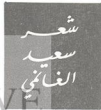
ويفتح الجاويش عطية باب
الزئزنة .. تلتقي نظراتها .. تثقل
حركته .. وهو يغالب خوفه من تشاؤم
يسيطر عليه حيث تمر قطة تموء ..
وعندما يملأ رثتيه من الهواء خارج
السجن .. تصطدم حريره باعتداء
صوت المذيع يرحب بقاء الكفر ..
والواقع الأليم .. لقد دفع الشهداء الثمن
.. وما أغلاه من ثمن ..

يلقي (عبدالدايم) ببقايا السيارة
على الأرض .. يدوسها بقدمه بغيظ
.. ينصق وراءه .. ويرفع قامته وهو
يلتقي بوجوه ينطق منها ما يترجمه
احساسه .. والصوت يتردد في جوانب
نفسه (اللهم احصهم عددا .. ومزقهم
بددا .. ولا تدع منهم أحدا..)
ويستمر في السير متمتا .. ولا يزال
الطريق .. طويلا .. طويلا ..

اللؤلؤة

قبل عشرين سنة،
قبل أن تبدأ روعي بتمارين العتاب،
قبل أن يُلقِيّ فيها الله «ماتيلدا» العذاب،
قبل أن أشرب عينيك سماء أو سراب،
نبضت في قاع قلبي «لؤلؤة»
مثل طفل ..

مثل تنهيد نبيّ،
وتخيلتُ بأنّ اللؤلؤة ..
أصبحتُ خبزاً، وإنساناً، وماء
أصبحتُ أحزان كلّ الفقراء
والأغاني ..
والديوالي



<http://Archivebeta.Sakhril.com>
والعصافير التي تنسى بسرعة ..
ونبّوات جميع الأنبياء.

والتقينا ...
وابتدأنا رحلةً اللا انتهاء
بعد عشرين سنة،
وتسللتُ إلى قلبي كطير عجريّ
ونما فوق ثيابي الثلج والنخل الجنوبي الأبي
وذكرتُ اللؤلؤة ..
ومسحتُ النخل والثلج ..
فكنتِ «اللؤلؤة» ... !!

شاعر النيل

بعد نصف قرن
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>



د. محمد حسن عبد الله

في الحادي والعشرين من يوليو سنة ١٩٣٢ أنهى حافظ إبراهيم حياة حافلة بالشعر والنوادر والنشاط الاجتماعي والثقافي المتنوع. الآن وبعد نصف قرن، وبعد أن صدرت دراسات متعددة عن فن حافظ وحياته وبعد أن طُبع

ديوانه كاملاً محققاً، نجد لزماً علينا أن نغتني المناسبة لنعود إلى هذه الجهود المبذولة عبر خمسين عاماً، لنستعرف من خلالها على الشاعر وفنون شعره، ونحاول أن نراه في مرآيا معاصريه، ونحاول مرة أخرى — على قدر الاستطاعة — أن نرى موقعه من حركة الشعر العربي المتجدد، ودوره في تأصيل هذا الفن، وتمكين شخصيته، المستمدة من جذوره، والمزدهرة في أشكال يتقبلها العصر وسيلة وغاية.

ومن المعروف أن الشاعر «أحمد شوقي» قد توفي بعد حافظ بنحو شهرين ونصف الشهر، وله فيه مرثية تعتبر من عيون المراثي الحديثة، ولكن ما يهنا الآن، أنه قد يبدو من الصعب أن نفرد الحديث عن أحدهما، برغم تنوع إبداعات شوقي، وزخارتها بروح الأصالة والابتكار، ولا يعني هذا، مطلقاً، التقليل مما بذل حافظ في تجديد دياجة الشعر العربي، استمراراً لما بدأه البارودي، الذي أنهى عصر تدهور الثقافة الأدبية العربية.

لقد ربط القديسين حافظ وشوقي، إذ وُجد في عصر واحد، وفي بيئة واحدة، وقد يُحسب عاملاً للمنافسة بين الشعارين كقوة إيجابية تدفع نحو الابتكار والإجادة، ولعل هذا قد حدث بالفعل، وفي بعض المراحل من عمرهما، ولقد تحدثت كتابات المعاصرين لحافظ وشوقي عن التفاف بعض الكتاب والشعراء والصحفيين حول واحد من الرجلين، وإغرائه بين حين وآخر بغمز صاحبه أو انتقاص موهبته، أو رفع نفسه على صاحبه درجة. ونحن الآن، وبعد مضي نصف قرن على انقضاء دعوى المنافسة، بخيرها الكثير، ورذاذها القليل، لانتلک إلا الاعتراف بها، بل نزعم أن «أحمد شوقي» كان ضائق الصدر بهذه المنافسة، ويرى أنها تظلمه، حين تفرقه إلى حافظ، وحين تقارن فنه الشعري بحافظ، حتى وإن انتهت الموازنة إلى تفضيل شوقي. يذكر بعض المعاصرين للشاعرين ذلك صراحة، بل يذكر موقفاً محدداً، جديراً بأن يُروى، لما يُعبر عن الفوارق النفسية والمزاجية بين

الرجلين ؛ فقد كتب الدكتور هيكل مقالاً في « السياسة الاسبوعية » بعنوان : « شوقي وحافظ » ، قدّم فيه شوقياً على حافظ ، وقضى له بالمكانة العليا ، فلم يسلم الناقد الكبير من العتب والملامة ، والعجب هنا أن العاتب اللائم كان « شوقي » نفسه ، فقد كره أمير الشعراء أن يُقرن اسمُ شاعرٍ معاصرٍ باسمه ، ولو في مقام تفضيله ، وكأنه يتمثل قول الشاعر القديم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَصْغُرُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا

أما حافظ ، فقد بلغه ما قال شوقي في مقالة هيكل ، فراح يحدث جلساءه في ألم تغلّفه روحُ الفكاهة التي شُهر بها . قال حافظ : « اسمعوا يا إخوان . إن أمير الشعراء قد غضب لقول هيكل في مقالي « شوقي وحافظ » ولم يعجبه الجمعُ بين اسمي واسمه ، ألم يسمع الناس يقولون : زفتي وميت غمر ، فهل سمعتم أن زفتي غضبت ، أو أن ميت غمر احتجّت ؟ ألم يتكرر على سمعه قولُ الناس : سميّط وجبنة — وخيار وفقوس — وعسل وبصل ؟ ثم تضاحك حافظ وقال : أما من يكون العسل ، ومن يكون البصل ، فتلك مسألة أخرى . » و يذكر الخبر أن بعض جلساء حافظ حاول أن ينال من شعر شوقي ، ترصّيه حافظ ، فظهرت الكراهة في وجهه ، وقال لأصحابه : إنه لا يرضى لهم أن يكونوا خبثاء أو جهلاء ، وهو لا ينكر على شوقي حقه في الامتياز والتقدم ، ولكن يكره منه هذه المواقف .

ويروي حسن الجداوي — معاصر حافظ وصديقه — عبارة ذات دلالة ، منسوبة إلى حافظ ، وإن ضمنت رأيه في شاعرية حافظ وبجاء تفوقه على شوقي ، يقول : كان حافظ يعتبر نفسه أشعر شعراء العربية في هذا العصر ، ويقول ذلك . وكان يعرف كيف يلقي شعره ، وكيف يُسبغ عليه من مقدرته على الإلقاء رواءً قد لا تجده فيه إذا ما أعدت قراءة القصيدة فيما بينك وبين نفسك ، فكان يجد من تشجيع جمهور السامعين لقصائده وكثرة ما يعيدون أمامه من طلب تكرار البيت مرةً ومرات ، ما يزيد اعتقاده رسوخاً في كفايته

ونبوغه ، بيد أنني من الذين يعتقدون أن حافظا لم يكن مخطئا كثيرا في تقديره لنفسه .

ويقول حسن الجداوي بعبارة أكثر تحديدا : قابلته (يعني حافظا) بعد المهرجان الذي أقيم لشوقي مباشرة ، وكنت قد قرأت قصيدته التي قال فيها :
أمير القوافي قد أثبت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي
فقلت له : لِمَ هذه المبايعة العلنية ؟ فقال : أما هذه المبايعة فكانت فرضا محتوما ، وقد جاءت وفود من البلاد الأخرى تباعه ، وما كان يمكن أن تخلف مصر . فقلت : وعلى رأسها زعيم شعرائها ؟ فقال : أنت الذي تقوِّها .
ويذكر الجداوي في أعقاب هذا الحوار أن حافظا أخذ يتحدث عن شوقي بإكبار وتقدير لفنه الشعري .

أما موقف شوقي من حافظ ، فإننا نجده ماثلا في مرثية شوقي لحافظ ، وفي ملايساتها ، فقد تأخر نظم هذه المرثية ، فترثت لأول مرة في سبتمبر بمدينة الاسكندرية ، احتفالا بذكرى الأربعين ، وقد وُجِّه إلى شوقي نقدٌ كثير لعدم مبادرته إلى رثاء حافظ ، وتصيبي محرر مجلة أبولو . وكان شوقي رئيسا لجماعة أبولو أيضا — فدافع عن شوقي ، قائلا : «الواقع أن هذا النقد مبني على إساءة الظن بالرجل ، وليس مبنياً على معرفة حقيقة ظروفه النفسية والصحية في هذه الآونة» ، ويلقي اللوم على «بطانة شوقي» في سالف السنين .. بمعنى أنه يحمل ندماء شوقي وأصدقائه تبعه ما أشيع عنه من استهانة بشاعرية حافظ . والحق أن مرثية شوقي في حافظ تعترف بمقدرة حافظ ليس في فن الرثاء وحسب ، بل في صدق الشعور ونقاء السريرة ، يقول شوقي :

قد كنت أوتر أن تقول رئائي	يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقت ، وكلُّ طول سلامة	قدّر ، وكلُّ منية بقضاء
الحق نادى فاستجبت ولم نزل	بالحق تحفيل عند كل نداء
لا ينسى شوقي أن يذكر الإمام «محمد عبده» ، وكيف سيلتقي الأستاذ	

والتلميذ بعد فراق، بوصف يُعلي من منزلة حافظ في الدنيا والآخرة، ثم يفتديه بنفسه، وينتد بالذين أفسدوا أو حاولوا إفساد ما بينها من وذ عميق. فيقول:

وَوَدِدْتُ لو أَنِي فداك من الردى	والكاذبون المرجفون فدائي
الناطقون عن الضغينة والهوى	والموغررو الموتى على الأحياء
من كلِّ هدام وببني مجده	بكرائم الأنقاص والأشلاء
ما حطموك، وإنما بك تحطموا	من ذا يحطم زفر الجوزاء؟

رأي العقاد في حافظ وشعره:

الأستاذ العقاد، جرياً على منهجه في كتابة التراجم، سواء ما كتب تحت عنوان العبقريات، أو ما يدخل في باب تاريخ الشخصيات، يحاول أن يجمع البناء النفسي والعقلي لحافظ إبراهيم في عبارة شاملة، جامعة مانعة، هي بمشابهة «مفتاح» و«سِر» تركيب الشخصية القادر على تفسير كافة غوامضها ونوازعها، هذا المفتاح، في رأي العقاد، هو «الوسطية»، ويرى أن هذه الصفة قد حكمت فقهه الشعري، وعلاقاته الاجتماعية، وموقفه الفكري والسياسي؛ فهو أولاً وسط بين الشاعر كما كانوا يفهمونه في القرون الوسطى ومابعداها، وبين الشاعر كما يفهمونه في القرن العشرين، أي أنه وسط بين النديم الذي يلتقى جميع سامعيه، ويعاشرهم في المجلس، ويطيبُ خواطرهم بالملح والأحاديث وبين الشاعر الذي يخاطب قراءه من وراء المطبعة أو ستر التمثيل. وهو ثانياً وسط بين شاعر الحرية القومية، وشاعر الحرية الشخصية؛ فهو شاعر الحياة القومية في كلامه عن اللغة الفصحى، وعن السفور والحجاب. وعن فاجعة دنشواي، وعن أزمات المال والسياسة، ثم هو شاعر الحياة الشخصية في شكواه وهزلياته وخرائاته ومساجلاته، وفيما يبدو خلال قصائده الاجتماعية من ميول نفسه وخلجات طبعه. وهو ثالثاً وسط بين

المطلعين على الآداب العربية وحدها، والمتوسط في قراءة الآداب الأجنبية، وهو رابعاً وسط بين مبالغة الأقدمين، وقصيد المحدثين ولا سيما في المديح !! هل نستطيع، بعد أن عرفنا رأي العقاد، أن نقول إنه أكثر إحاطة بغير حافظ ومستوى ثقافته، دون أن يدل على جوهر نفسه ومزاجه وخلقه؟! ذلك أننا نجد من معتقدات شاعرنا وسلوكه ما يصعب إخضاعه لهذه الوسطية التي اكتشفها العقاد واستراح إليها، إلا أن تفهم الوسطية على أنها الجمع بين الطرفين المتباعدين، وليس الوقوف في نقطة الاعتدال بين النقيضين. فهذا المعنى سنجدها أقرب إلى ما يعبر عنه شعره، وما يرويه عارفوه عن أخلاقه وسلوكه. ويكفي أن نتأمل قوله:

فما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب
وقوله:

عقني الدهر ولولا أنني أوثر الحسنى عفت الأديبا
أنا لولا أن لي من أممي خاذلاً ما لبث أشكو الثوبيا
لنجد برمه وحزنه ومشاعره الاضطهاد والضياع، تسطر عليه، وتدفعه إلى تكرر ماعاش به، وله. هذا طرّف، أما الطرف الآخر فنجد في قوله في واحدة من غرر شعره:

وقف الخلق ينظرون جميعاً كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناء الأهرام في سالف الدهر سر كفوني الكلام عند التحدّي
أنا تاج العلاء في مفرق الشر قو، وذرائع فرائد عقدي
أي شيء في الغرب قد بهر النا س جمالاً، ولم يكن منه عندي؟
فأي موقف من هذين يعبر بصدق عن شاعرنا؟؟ سنذكر هنا العبارة المروية عن قدامنا العرب: رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمت، وسيخطُ فقلتُ أسوأ ما علمت، ولقد صدقتُ في الأولى، وما كذبتُ في الثانية!! وقبل أن

نَجْوً إلى جوانب أخرى من نفسه ووجدانه، ينبغي أن ننصف الرجل حيال هذا التناقض الواضح في لوم وطنه، ثم في وضع هذا الوطن فوق النجوم، فالصدقُ الفني يفترق كثيراً عن الصدق بالمعنى الأخلاقي أو المنطقي، وهو مطابقةُ الخبر للواقع. الصدقُ الفني يعني التعبير عن إحساس راهن، وحالة شعورية عميقة، بوسائل فنية مقنعة، وليس من شرائط هذا الصدق الفني أن يصدر الإحساس فيه أو الشعور عن تجربة فردية معاشة، أو حادثة واقعية ماثلة، ولهذا فإن معيار الصدق الفني يطبّق على فنون القول الموضوعية، كالمرحلية والرواية وفيها من الحوادث والشخصيات ما يصل إلى درجة التناقض الحاد، ومع هذا فإن الكاتب مطالب بأن يكون صادقاً في تصوير هذه الحوادث، وتلك الشخصيات على ما بينها من تناقض، فالصدق الفني يعني — في النهاية — القدرة على الاستبطان، أي الحلول في المواقف المختلفة، والشخصيات المتناقضة.



جانب من شخصية حافظ :

يمكن أن تكون أكثر اقتراباً من شخصية حافظ إبراهيم، هذا الشاعر الذي يُجمَعُ معاصروه على أنه أجمع في حياته، لا يلتفتان به من المتناقضات في السلوك والأخلاق، لكن أعظم تناقضاته ستبدو في أن هذا الاضطراب العام في شخصه، لا ينعكس منه شيء على شعره، أو لا يكاد !!

يصوّر «أحمد محفوظ» شخصية حافظ إبراهيم تصويراً يثير السخرية والألم معاً، وهذا الكاتب فيما كتبه عن حياة شاعرنا، يعتبر أهم مصدر للمعرفة به من معاصريه الذين خالطوه وعملوا معه. دعنا من أوصافه لإهمال نظافته، وقذارة ثيابه رغم غلو ثمنها، فإن الناحية النفسية والسلوكية هي ما تُعنى به الآن، وأوصافه هذه لا تقل فداحة عن أوصافه لجسمه وملابسه. يقول أحمد محفوظ، عن حافظ إبراهيم: كان ساذجاً ساذجة تلحقه بالبلهاء، فهو يصدق كل ما يقال له .. وكان كسولاً ضحراً ملولاً متبرماً بالناس، يكاد لا يثبّ يده

للسلام كسلا وضجراً .. وكان الوهمُ يملأ صدره ويسوّد ما بين الفضاء وناظره، فيتوهم أنه مريض، ويتوهم أنه فقير.. كان رعيدياً يُرعبه الخوف من التوافه، كأنه طفل صغيرٌ ملأت رأسه صُورُ الغيلان والعفاريث. إلى آخر مثل هذه الأوصاف التي تدلّ على شخصية ضعيفة خائفة، ذات طبع انقباضي سوداوي. وقد روى هذا الكاتبُ المعاصرُ من أخبار حافظ، ونوادره ما يؤكد هذه الصفات التي تتدرجُ من السذاجة أو البلاهة، إلى الجبن والكسل. فقد ذكر بعضُ اصدقائه أن نَفحةَ التفاح تجلب النوم، فكان لهذا يُكثر من شمه وأكله، بل ذكر ذلك في شعره فقال:

كم خدّرتُ أعصابَ مصر نوافحُ لعودهم، كنوافح الثّقاج
ومع خوفه من الفقر كما تقدم، فإنه كان حريصاً على لذائذ بعينها باهظة الثمن بأسعار عصره، فكان يحب تدخين السجّار الفاخر، ويُفني منه يوماً أعداداً، ثمّها يتجاوز دخله من وظيفته، حتى إن زميله أحد شوقي علّق على هذا الموضوع متعجباً، رغم ثراء شوقي، ورفاهيته. ومن أطرف ما يروى من مواقف الطيبة التي تليقُ حد السذاجة ما يرويه معاصره الشاعر نسيم. قال: أسمعني حافظُ قصيدة له لعل كانت تلك عادته، يُشيعُ الناس شعره قبل أن ينشره. فانتحلتُ أكثر أبيات القصيدة ونشرتها في قصيدة لي في الصحف، فلما قرأها أقبل عليّ في مقهى «اسبنددار» صاحبها متوعداً مهدداً، حتى كاد يهّمُ بصفعي، فبادرته قائلاً: مهلاً يا حافظ بك إن ما كنتش آخذ منك الشعر أنت، آخذه من مين؟ هو فيه أشعر منك في مصر؟ فتَهَلَّل وجهه، وأقبل يقبلني ويقول: بارك الله فيك.

أما إهماله لواجبات وظيفته فيسرف فيه أحمد محفوظ إسرافاً شنيعاً يصل حد الإحالة، ونحن نعرف أن هذا الكاتب كان مرؤوساً لحافظ إبراهيم في دار الكتب، أو «الكتبخانة» كما كانت تدعى في ذلك الزمان، ولكنه كان أكثر قرباً من شوقي، بل كان موظفاً في مكتبه بعد الظهر، ومع هذا

فصفتُهُ إهمال الواجب الوظيفي لاصقةً في حافظ إبراهيم، حتى لقد تنذر بها الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقاله الضافي عن حياة حافظ، وقد نشر ضمن الكتاب التذكاري، الذي صدر عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، منذ خمسة وعشرين عاماً، يقول الأستاذ الزيات: «فكما عطف عليه الوزير الأديب أحمد حشمت فأكرمه سنة ١٩١١ بالعمل في دار الكتب رئيساً للقسم الأدبي، وأجزلَ له المرتب طمعاً في مواهبه وثواباً على فضله، حَمَلَ الوظيفة على حمل المكافأة الواجبة، وظلَّ أكثرَ النهار قاعداً في قهوة الكتبخانة، فإذا طُلِبَ إلى الدار لعمل تقتضيه الرئاسة قال للجرسون: إذا سأل عني واحد، قل له راح الكتبخانة شوية وجاي!!»

هكذا اجتمعت الأضداد في نفس حافظ الإنسان، فهذا الإنسان الواهم الخائف من الأيام ومن الفقر، لم يدفعه خوفه على أن يكون حريصاً على وظيفته، فقد كان يديرها من المقهى، كما تدل عبارة الزيات، ولم ينفعه الفقر من أن يكون كريماً. بل كان مسرفاً إلى درجة السفه أحياناً، فيتصدق بربع مرتبه، ويدفع جميع ما طلب أصحابه على المقهى، ويقيم الولائم الفاخرة، فكان أبقعَ شعراء عصره على إنفاق المال، وكان رزقه يأتيه من حيث لا يحتسب.

لا بد أن نتذكر نقائص هذه الصفات التي أسرف معاصروه في سردها، فهذا القلق المذعور من الدنيا، لم يخلُ بينه وبين أن يكون من أصحاب النوادر والطرائف والمواقف الضاحكة، والتعليقات الساخرة، وأيضاً فإن حرصه على الوظيفة وخوفه من انقطاع راتبها، لم يخلُ بينه وبين حياة الفنان البوهيمي المطلق السراح، لا يعبأ بموعد ولا يحرض على واجب. ويناقض هذا كله أن مرحلة الاطمئنان المادي في رعاية الوظيفة لم تدفعه إلى التفرغ للشعر بل كان الأمر على العكس من ذلك، فأخصب مراحل إبداعه هي تلك المرحلة المملقة الفقيرة المشردة، ما بين عودته من السودان مطروداً من

وظيفته عام ١٩٠٠، وحتى التحاقه بوظيفة دار الكتب، بعد عشر سنوات تقريباً.

هناك جانب إيجابي، بل جانبان، لابد أن يُذكرَا لحافظ إبراهيم، بل لعل في هذين الجانبين سرُّ بقاء شعره إلى اليوم، والحفاظ على المكانة الكريمة التي احتلّها. فقد أشاروا إلى أنه قد وُلد في «دهبية» راسية على شاطئ النيل، أمام بلدة «ديروط» في أعلى الصعيد، وكان يسكنها إبراهيم أفندي فهمي، أحد المشرفين على قناطر ديروط، إذ أنه مهندس، وكانت معه زوجته التركية الأصل «الست هانم بنت أحد البرصهلي»، فأنجبت له الطفل «محمد حافظ» وهو اسمُ شاعرنا في هذه الدهبية العائمة على صفحة النيل، وكما يقول الأستاذ أحمد أمين في مقدمة ديوان حافظ: «فكان ذلك إرهاباً لطيفاً، وإيماء طريفاً، إذ شاء الله ألا يولد «شاعر النيل» إلا على صفحة النيل». هذا تصوّر شاعريّ لميلاد شاعر وكان يمكن لحافظ أن يولد في أي مكان آخر، دون أن يغيّر ذلك من طبيعة نفسه أو اتجاهه.

وتلقب حافظ بشاعر النيل له قصيدة، بل قصص، يعود أكثرها، ليس إلى المنافسة بين شوقي وحافظ، وعسب، بل إلى جماعات المتنافعين بالشاعرين من جيش الشعراء والمتشاعرين، والصحفيين، ورجال السياسة، الذين يُهمهم أن يضموا إلى صفوفهم هذا الشاعر أو ذلك. والحق أن حافظاً، الملقب بشاعر النيل لم يقل قصيدة واحدة في النيل، وإنما شوقي، هو الذي أبدع فريدته. ولم يرِد ذكر النيل في شعر حافظ إلا عبوراً إلى معنى، أو تضميناً لإشارة، كما في قوله في مطلع قصيدته: «تهنئة أحمد شوقي» بإمارة الشعر:

بلا بل وادي النيل بالمشرق اسجعي بشعر أمير الدولتين ورجعي

بل إنه حين يعدّد في اثناء قصيدته هذه، أسماء المشهورات من قصائد شوقي يذكر من بينها قصيدته في النيل، فيقول:

بلغت بوصف النيل من وصفك المدى وأيام (فرعون) ومعبوده (رع)
ثم يعود مرة أخرى فيقول :

أ (من أيّ عهد في القرى) قد تفجرت ينابيع هذا الفكر أم (أخث يوشع)
ثم يعود مرة رابعة وأخيرة، في هذه القصيدة الحافلة، فيقول :

أمير القوافي قد أتيت مباعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي
فقرّ ربوع النيل واعطف بنظرة على ساكني النهرين واصدّخ وأبدع
ولا تنس (نجداً) إياها منبت أفوى ومرعى المها من سارحات وزرع
وحى ذراً (لبنان) واجعل (لثؤنس) نصيباً من السلوى، وقسم ووزع

ومثل هذه الأبيات لا تدلّ على عناية خاصة بالنيل، أو التفات إليه، لم يزد الأمر على ذلك في قصيدة «عيد الاستقلال»، بل إن في حديثه عن النيل في هذه القصيدة ما يثير السخرية والألم، حيث يقول :

للنيل مجد في الزمان موثّل من عهد (آمون)، وعهد (فتاح)
فلسي العصور به وسّل آثاره في (مصر) كم شهدت من الشّاح

بل إن شاعر النيل، وقد شهد لأول مرة تأمليل خزان أسوان، ومن ثمّ أُلجم النهر وتقصّ الفيضان، لم تجد شاعريته بغير بيتين لقيمة لها، يقول فيها :

أنكر النيل موقف الخزان فانشنى قافلا إلى السودان
راعه أن يرى على جانبيه رصداً من مكابد الإنسان

لم يقصّر حافظ في باب الوصف، وإن كان شعره فيه قليلاً، لكنه متنوع، وعلى قدر من الجودة. وصف كساءه الجديد، ووصف الشمس، وزلزال مسينا والبورصة، ونادي الألعاب الرياضية، وخنجر ماكث .. الخ، ولكنه لم يصف النيل والسبب في رأينا أن حافظاً لم يكن من شعراء التأمل والفلسف، كما لم يكن معنياً بتثقيف نفسه، فالتيل ليس مجرد نهر، ولكنه

حضارة ووجود.

ما سرُّ تسميته بشاعر النيل إذن؟؟

كان شوقي حريصاً على لقب «شاعر الأمير» نظراً لمكانه ومكانته في قصر الخديوي، فلما ألقى حافظ قصيدته في حادثة دنشواي، ونشرتها جريدة اللواء، التي يُصدرها الحزب الوطني، حزب مصطفى كامل، نال حافظ من هذه القصيدة شهرة عظيمة، فأطلقت عليه الجريدة لقب: شاعر الوطنية، ثم: شاعر الحزب الوطني. ولكن الحزب الوطني مجرد حزب، وهنا يسرع الشيخ علي يوسف، الصحفي الشهير، صاحب «المؤيد»، فيطلق على حافظ لقب: شاعر النيل، ومدلول التسمية أوسع مدى من «شاعر الأمير» الذي يحرص عليه شوقي، لهذا مال بث شوقي أن اهتدى إلى لقب آخر خلعه على نفسه، وأوعزَ إلى الصحفي أن تطلقه عليه، وهو «أمير الشعراء»، وهذا أصبح شاعر النيل رعية لأمير الشعراء. هذا رأي عصرهم، أما عصرنا، فلعل رأيه يختلف!!

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بين الشعر الخطابي والمدائح

من المعروف أن حافظاً بدأ حياته العملية في مكاتب المحامين بمدينة طنطا، وتنقل من مكتب إلى آخر، دون أن يصادف نجاحه في واحد منها، إلى أن دخل المدرسة الحربية، ليضمن رزقه ووظيفته بعد ذلك، ونحن نرى أن فترة عمله بالمحاماة، وبرغم فشله فيها لصعوبة تقيد بواجبات أية وظيفة، قد تركت في شعره أثراً واضحاً، هو هذه النزعة الخطابية التي لا تخطئها الاذن. والخطابة صيغ الشعر، أو لنقل بعبارة أكثر تحديداً: إن الشعر العربي غير بعيد عن روح الخطابة وأساليبها. وإن الذوق العربي يستملح ذلك ويتجاوب معه، لنقرأ لحافظ هذه الأبيات، من قصيدة يحیی في العام الهجري، على عادة زمانه.

إذا الله أحيا أمة لن بردها إلى الموت فهار ولا منجبر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة	إلى قادة تبني، وشعب يعمر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة	إلى عالم يدعو، وداع يُذكر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة	إلى عالم يدري، وعلم يُقرّر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة	إلى حكمة تُملئ، وكف تُحرّر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة	إليكم، فشدوا النقص فبنا وشمروا
رجال الغد المأمول لا تركوا غداً	بمرّ مرورّ الأمس، والعيش أغبر
رجال الغد المأمول إن بلادكم	تتأذككم بالله أن تتذكروا

فهذه الأبيات، ومثلها عنده كثير، خطابه، ليس فيها من الشعر غير النظم. ومع هذا فإن الذوق العام يستعذبها، ويتجاوب معها، فإذا اقترنت بالإلقاء الجمهوري الفخم فانها بالغة من نفوس الناس حدا لا تبلغه أروع الأشعار وأنتقها صناعة وأعمقها إحساساً وتصويراً، ولقد كان حافظ يعرف في نفسه المقدرة على الإلقاء، والاعتماد عليه في التأثير على الجمهور، ويذكر العقائد أنه داعب مرة قائلاً: إنك بأن تملأ قوالب الحاكي، أخرى منك بطبع صفحات الدواوين، فكان حافظ يقول: وتكون أنت «عقادي» على تحت الغناء!! وأيضاً للشاعر عبد الرحمن خلدفي حنلاً أنشد فيه حافظ، وكيف كان السامعون مسحورين بإلقائه، يقابلون كل شطر، بل كل لفظ بما هو أهله من حُسن القبول بالتصفيق وهتاف الاستحسان، فكان الشاعر يعود إلى ترجيع ما أنشده مرة أخرى تعميقاً لأثره، وتمكيناً لوقعه. ويذكر عبد الرحمن صدقي أنه حين قرأ القصيدة مكتوبة في الصحف في اليوم التالي. أي متحررة من سحر الإلقاء الخطابي، لم يجد للكثير من أبياتها هذا الرونق، وتلك الجلالة التي كانت لها في محفل الأمس.

هل يمكن أن نستنتج هنا مبدأ نقدياً، وهو أن طريقة توصيل الشعر تؤثر في صياغته، بل في موضوعاته أو أغراضه؟ فالشعر في المحافل، غير الشعر في الدواوين، غير الشعر على المسرح. والشعر في عصر الأمية الفاشية، غير

الشعر في عصر الكتب المدونة، والتسجيل بالصوت والصورة. وإذا كانت أداة التوصيل لها أثر لا يجحد في فن الشاعر، فإن نوعية المخاطبين لها أثر في توجيه ملكته، وفي موقفه الفكري، والاجتماعي، والسياسي، أشد خطراً، وأقوى صلة بذات الشاعر وموقعه من عصره، ذلك لأن المتلقين للشعر، أو المخاطبين بالشعر، هم أنفسهم «موضوع» الشعر، فهم النصف الآخر، المعادل لذات الشاعر، والشعر هو الأداة التي تتحرك بين القطبين: الذات والموضوع، ولا بد أن تتأثر بها على السواء.

من هنا كان اتجاه حافظ إلى المديح، لأن عصره يطلبه، ويجعله المدخل إلى الحياة المستقرة، ولكن حافظاً كان عفا في مديحه، معزاً بفنه، يمدح الشخص الواحد مرة واحدة، وليس هذا شأن الشاعر الذي يعيش على المديح، إذ كان من طبيعة هذا الصنف من الشعراء أن يلوذ بكنف شخصية قوية، قادرة على منح الهبات، وبذل الحماية، يقف قلمه، أو يكاد، على الإشادة بفضيلها، وإذاعة أعجابه، ولا يتجاوزها إلى غيرها من المدوحين، إلا في النطاق الذي لا يثير حفيظتها. لقد مدح حافظ خليفة المسلمين في الآستانة وخديوي مصر، وملكها، ولكنه إلى جانب هذا قد مدح من لم يكن باستطاعته أن ينقعه، بل لعل مديحه يجلب له المصرة، فقد مدح البارودي الشاعر بعد عودته من المنفى، وهو رجلٌ عظيمٌ مغضوبٌ عليه، لا يملك لنفسه — فضلاً عن غيره — أي نفع. بل إن حافظاً مدح الاموات من عباقرة الغرب، مثل هوجو وشكسبير وإن يكن مدحه لها سطحيًا لا يدل على معرفة وثيقة بفنّهما، وما أسديا للفكر والأدب من ألوان التجديد. ويضاف إلى مدائحه ما وُضع تحت عنوان «التهاني»، وقد هنا لطفي السيد، فيلسوف الجيل، وهنا طه حسين، وهنا شوقيا، وخليل مطران، وغيرهم بما يعبر بصدق عن نفس سمحة، تتسع للفرح بالآخرين، ومن أجل الآخرين، وتحثي بالقيم النبيلة، وشجاعة الرأي. فقد هنا لطفي السيد حين استقال من

الجامعة، وكان مديراً لها، احتجاجاً على إخراج طه حسين منها، ونقله إلى وزارة المعارف، ضدَّ رغبته وهناً طه حسين بالمناسبة ذاتها، وهناً سعد زغلول بنجاته من حادث الاغتيال، رغم أنه لم يكن من المقربين إليه. وعلى هذه المداخل جميعاً لنا بعض الملاحظات الفنية :

أولاً : ان مداخله في الخلفاء والملوك والزعماء تبدو طويلة مستفيضة، وبخاصة إذا ما قيسَتْ إلى مداخله وتهانيه في غير هؤلاء العلية من الحكام. مع استثناء واحد هي القصيدة التي بايع فيها «شوقي» بإمارة الشعر، وهذه القصيدة لها ظروفها الخاصة، وكان لا بد أن تكون طويلة التَّقسُّم، لتلائم مقدرة أمير الشعراء، وجوَّ الحفل الذي اُعدتْ لتلقى فيه. أما قصيدته في لطفي السيد فإنه ينهته والمستشار محمود غالب معاً، بقصيدة من أحد عشر بيتاً، وهناً طه حسين بيتين، أما تهنيته للسلطان حسين كامل بالسلطنة فإنها تأتي في خمسة وأربعين بيتاً.. وهكذا مداخله في السلطان عبدالحميد، وفي الحديوي عباس حلمي وغيرها.

الملاحظة الفنية الثانية : أن قصائده في مدح الملوك والولاة تتميز بالرصانة والقوة والتزام التقليدي في قصائد المدح. فهي تبدأ غالباً بالغزل، على عادة شعراء المدح القدماء، وهو غزل موجّه منتقى، باستطاعته أن يوحى بمرامي القصيدة، وبصفات المدوح فيما بعد، وتنتهي القصيدة بالدعاء والأمل في شخص المدوح. ولم يستصحب حافظ إبراهيم هذا الأسلوب الذي وَقَّفَهُ على الملوك، إلا في مدحه للبارودي. وقصيدته فيه تنبئ عن رهافة، وذوق، وشجاعة، ووفاء. يبدوها بالغزل، وهو غزل عفيف شفيف يليق بشاعرية البارودي وسابقة جهاده ووطنيته، وصفات المحبوبة تشفُّ عن صفات المدوح. يقول حافظ :

تعمدتُ قتلي في الهوى وتعمداً فما أئمتُ عيني ولا لحظتُ اعتدى
كلانا له عذر، فعذري شبيبتني وعذرك أني هجئتُ سيفاً مجرداً

هوينا لما هُنا كما هان غيرنا ولكننا زلنا مع الحب سؤدا
وما حكّت أشواقنا في نفوسنا بأسر من حكم الساحة والتدى
نفوس لها بين الجنوب منازل بناها الثقى واختارها الحب مبعدا
وفتانة أوحى إلى القلب لحظها فراح على الإيمان بالوحي واعتدى

ومضي حافظ إبراهيم، على هذا النسق العالي من اختيار الألفاظ والمعاني، يُؤثر من هذه الألفاظ، وظاهرها الغزل، ما يليق ويتصل بحالة مدوحه المجاهد القديم، العائد من المنفى: فالهوى القاتل، له عُذْر، ومحبوبه سيفت مجرد، غير أن الهوى لم يكن سبيلا إلى الهوان «كما هان غيرنا» ولكنه زادنا سؤدا، لأنه ضَمَّ إلينا فضيلة الجهاد، بعد فضيلة البيان والشعر. ويستمر حافظ في مثل هذه الألفاظ والصور ذات الومض المزدوج على موقف الغزل وموقف المديح، الصالحة لوصف المحبوب ووصف المدوح، لتجعل منها ذاتاً واحدة، ليدخل بعد ذلك في قصة اجتياز المخاطر ليلقى هذه الحبيبة العزيزة المنال. ولولا بطولته ما استطاع أن يصل إليها.. وهذه القصة نجد جذورها عند امرئ القيس، منذ سها إلى محبوبته «سمر حباب الماء حالاً على حال»، وقد أعجب الفرزدق بمغامرة امرئ القيس فقلدها، فأعجب بها عمر بن أبي ربيعة فقلدها في مغامرة «ليلة ذي دوران»، وقد قرأ حافظ كل أولئك وأعجب بهم فقلدهم تقليداً متقناً رصيناً، وقد أحسن كل الإحسان إذ حشد تجارب الشعراء العشاق من قبله، ليجعلها بين يدي تحيته لشاعر، هو الوارث الطبيعي لفنهم والاستمرار الحق لهم. وحافظ في قصيدته هذه، أو في هذا المطلع الغزلي منها بخاصة أقرب إلى ابن أبي ربيعة، في اعتماده أسلوب الحوار، وترديده القول بين الفتى العاشق وفتاته الجميلة التي يحرسها قومها، وفي تصوير نفسه موضع إعجاب فتاته، وتلفها على لقائه، فهذا مما استحدثه عمر في أنغام الغزل والنسيب. وأبيات حافظ في هذا المقام جديدة بأن تسجل وتُأمل، لأنها تحافظ على هذا الومض المزدوج بين

شخصية الشاعر وشخصية العاشق في القصة الشعرية، كما حافظت عليه من قبل بين المحبوبة والمدوح، فهاهي ذي المحبوبة تبدى جزعها ودهشتها وأعجابها بفتاها، وكيف تخلص إليها، ودونها الحراسة واليقظة، ثم إنها تتوقع أن يلحق به الأذى بسبب تلك الزيارة التي تُشهر دونها السيوف، ثم تكون خاتمة القصة في شكل ما يسميه النقد القديم: «حُسن التخلص»، وهو في هذه القصيدة تخلصُ حَسَنُ بالفعل، فقد انتقل الشاعرُ من معاني الغزل إلى معاني المديح برفق، وتدرج معجب وهو ارتداعه عن العمل الطائش بتأثير من هذا المدوح العظيم، الذي لا تذكره النفس حتى تذكر الهدى والتقى. نجتزئ من ختام القصة الغامرة هذه الأبيات، لنرى كيف يتماشى تقليد عمر بأنفاس التجديد، أو الاستخدام الجيد لمعنى الإيحاء، وكيف أحسن الشاعرُ في تخلصه من النسيب إلى المديح:

فلما رأيته مُشرقَ الوجه مُقبلاً ولم تشنني عن موعدِي خشية الردى
تنادت - وقد أعجبها - كيف فُهِمُ ولم تتخذ إلا الطريق المعبدا؟
فقلتُ: سلى أخته لهم كيف رُوِّعت وأسأفهم، هل صافحت منهم يدا
فقلت: أخاف القوم والخلفاء قد برئ صدقوا بهم أن يبلغوا منك مقصدا
فلا تتخذ عند الرواح طريقهم فقد بقى البازي، وإن كان أصيدا
فقلتُ: دعي ما تحذرين فإنني أصاحب قلبا بين جنبي أيدا
فالتُ لتغريني ومالها الهوى فحدتُ نفسي، والضميرُ ترَّدَا
أهَمَّ كما همَّتْ فأذكُرُ أنسي فتاك، فبدعوني هداك إلى الهدى

ثم يمضي حافظُ في مدح البارودي بعد ذلك. فإذا وضعنا هذا الفيض الزاخر بما قاله في مواقف أخرى، لأشخاص آخرين. وجدنا الإيجاز الخلق، وكأنه نوعٌ من أداء الواجب الذي يُغني فيه أقلُّ القليل، وهذا القليل هو والعدم سواء، من الناحية الفنية، وإن كان يُعلن عن الموقف الفكري للشاعر، وموقعه من الصراع الدائر، فهو مثلا، يقول لطفه حسين، حين أخرج

من الجامعة :

قد أجدبت دأر الحِجَا والثَّهْي
وأخصبت أرجاء مصر بمن
بعذك من آرائك النافعة
صَيَّرَ مِضْراً كُلَّهَا جامعة

فالمعنى — كما ترى — مبتذل متداول : لم تعد الجامعة جامعة بعد خروجك منها ، وصار البلد كله جامعة بوجودك فيه . وإذا عرفنا أن هذين البيتين قد ألحاهما حافظ في حفل أقيم لتكريم طه حسين ، أقامه طلبة الجامعة له بعد فصله ، من منصبه ، عجبنا كيف لم تستول على شاعر المحافل والمهرجانات شهوة القول واجتلاب التصفيق والإعجاب ، ولكي تزيل العجب ينبغي أن نذكر أن حافظا كان في آخر أيامه تقييا ، وأن نذكر الظروف التي أخرج فيها طه حسين من الجامعة وما أحاط بها من ألعاب الساسة والسياسة . فكان لابد من المشاركة ، وكان من الضروري أن تكون المشاركة هزيلة !!

حافظ ونقاده

ينبغي أن نعترف ، ونحن نشأنا في الانتباه من هذه الكلمات ، عن حافظ إبراهيم ، أن هذا الشاعر لم يزل قدوة وأمثالاً من اهتمام النقاد والدارسين ، على الأقل إذا ما قيس إلى نظيره ومعاصره أحمد شوقي . وقد يكون هذا الاهتمام المحدود ، ذاته حُكْماً على شاعرية حافظ ، كما قد يكون الحكم ظالماً أو غير دقيق ، أو أدت إليه عوامل خارجية ، لا تتصل بفن حافظ ، بل بظروف حياته . كل هذا ، أو بعضه مع التسليم بأن شعر شوقي أكثر تنوعاً ، وأدق على عمق الثقافة ، والخبرة بمناحي الحياة ، وقد ألحنا من قبل إلى جانب من رأى طه حسين في شعر حافظ ، هو عنده ، لم يولد ولكنه اجتهد وحاول حتى بلغ ما يريد . وغضني الآن عبر رحلة سريعة في أقوال النقاد والكاتبين ، نستقيها من العدد الخاص الذي أصدرته مجلة أبولو ، عن حافظ وشعره . وجدير بالذكر هنا أن نعرف أن حافظاً رحمه الله ، توفي في شهر يوليو سنة اثنتين وثلاثين ، فظهر عدد سبتمبر من المجلة ، تنصده صورة حافظ ، وبضع صفحات عنه ،

وَوَعْدٌ بِإصدار عددٍ خاص، وهنا يحدث أن يلحقَ به صنؤه أحمد شوقي الذي كان رئيساً لجماعة أبولو، رغم أنه لم يكن صاحب فكرتها، ولا مؤسسها، فنجد أنه قد تفرغت المجلة لإصدار عدد خاص عن شوقي، وشُغِلَت بأمر الشعراء عن شاعرنا الذي انتظر عدده التذكاري الخاص عاما كاملا، فظهر في الذكرى الأولى لوفاته في حين صدر العدد الخاص بشوقي، بعد وفاته بشهر واحد!! وهذا كله لا يخلو من مغزى: في الإحساس بأهمية الشاعر، ووضوح الرأي فيه، والتبؤ للكتابة عنه، واتساع مجالات هذه الكتابة.

لقد اهتمّ الكاتبون عن حافظ، بشخصيته، وتكوينه المزاجي أو النفسي، ثم اهتمّ قضايا شعره: الاجتماعي، والسياسي، وشعر الرثاء، وموقفه من قضايا التطور الاجتماعي، قضية المرأة، والدستور، والتعليم. ولم يُدِّ أحدُ اهتماما يذكر، بروايته النثرية، التي كتبها على طريقة المقامات، وسماها: «ليالي سطوح»، وسطيحُ هذا كاهنٌ جاهلي، لقبة شاعرنا حافظ، لقاء خيالها على شاطئ النيل، فقد ضاق بالناس وبالحياة، وظل يشكو حتى سُم الشكوى، فانطلق يطلبُ العزاء في الغزل متأشيا بقول الشاعر القديم:

عوى الذئب فاستأنت للذئب إذ عوى وصوت إنساك فكدتُ أطيرُ

وفي هذا الجو النفسي الموحش، يلتقي ابنُ النيل بالكاهن الجاهلي، ويتواعدان على اللقاء كل ليلة، في نفس المكان، إذا ما ظهر سهيلٌ في السماء. وهكذا تمضي الليالي، وابنُ النيل يصحبُ كلَّ ليلة شخصية تمثل مشكلة أو قضية، يناقشها مع سطوح؛ وهكذا يعرض لأمر نجدها بذاتها في شعر حافظ، وإن تكن في ديوانه مطروحة في حدود ما يستطيع الشعر من العرض والحوار والتحليل، مثل: قضية الحجاب والسفور، والامتيازات الأجنبية، ومعنى الحرية، ومكانة شوقي وشعره، واللغة العربية ومحتها على يد كتاب الأساليب الأعجمية، ويسخر من الشعوذة التي تسلت إلى الطرق الصوفية، ويلوم عامة المتعلمين في إقبالهم وحرصهم على وظائف الحكومة...

إلى آخره .

وقد ظهرت ليالي سطّيح بعد أن نشر المولّحي روايته المشهورة في شكل مقامات أيضاً. وهي «حديث عيسى بن هشام»، ولكن يبدو أن حافظاً كان قد بدأ الكتابة قبل المولّحي. ومهما يكن من أمر السبق فإن «حديث عيسى ابن هشام» تبدو أكثر نضجاً، في أسلوبها، وشكلها أيضاً، أما «ليالي سطّيح» فقد التزمت بمسرح واحد للحوادث لم يتغير، وسيطر عليها أسلوب علائي متشائم، ومع هذا الذي نراه، فقد تحمس لها شيخُ النقاد المعاصرين، الدكتور محمد مندور، رحمه الله، واعتبرها من طلائع القصص الاجتماعية، ورفض اعتبارها محاكاة لحديث عيسى بن هشام.

وهناك مشاركة أخرى لحافظ في عالم النثر، والنثر القصصي بوجه خاص، وذلك حين ترجم رواية فيكتور هوجو «البؤساء»، وقد نشرت أكثر من مرة، وأيا كان الرأي في رواية البؤساء، وهي ليست بأجود ما كتب الشاعر الفرنسي، ومهما كان الرأي في سبب اختيارها دون غيرها، وهل هو حزنُ حافظ وبؤسه، فإن هذه الترجمة قد لقيت نقداً لافتاً للأسلوب المعقد المصطنع، تحت شعار «النثر الفني» الذي ياباه كلُّ الرواية كلَّ الإباء، ثم لأن حافظاً لم يكن يترجم، بمقدار ما كان يلخص، فلم تكن لغته الفرنسية تعينه على الإدراك الصحيح لمرامي المؤلف، ومن ثم كان يتصور المواقف بشكل عام، ثم يقربها إلى القارئ العربي بقدر ما وقع في فهمه .. هذا فضلاً عن إهمال صفحاتها بأكملها، وهذا يعني — في النهاية — أن حافظاً لم يكن يترجم، وما كان باستطاعته أن يفعل، ولعله كان في حاجة إلى بعض المال، فاندفع في هذا السبيل، وتورط. وعلى أية حال، فإن حافظاً لم يكن وحده في مجال هذا التعريب التقريبي غير الدقيق لعيون الآداب الأجنبية، أو الفرنسية بالذات، فقد سبقه المنفلوطي، وجنى الشهرة والمال الوفير من بول وُرجيني، وفي سبيل التاج، وغيرها .. وقد وصل به الحال أن هذا العمل

الأخير، كان مسرحية، تحولت بقلم المتفولطي إلى رواية !!

ونعود إلى هذا العدد الخاص من أبولو، الذي صدر في الذكرى الأولى لرحيل شاعر النيل لتعرف على جانب من آراء نقاده في الذكرى الخمسين . لقد اشتمل العدد على نحو أربعين مقالة ودراسة وقصيدة، كلها عن حافظ وشعره .

ينوه داود بركات بمقدرة شاعرنا على الحفظ ، وإن كان لا يعلّق بحافظته ، إلا ما يستحب ويستملح . ثم يقول : « والعجب أن الشائع في الاعتقاد أن من كان سريع الحفظ كان سريع النسيان . فإذا صحّت هذه القضية ، فقد حقّ أن يستثنى عليها هذا حافظ ابراهيم » .

ثم يذكر أن حافظاً قبض ، وليس في داره إلا ثلاثة أجزاء من الأغاني ، وكتابين بالفرنسية ، وبعض القصص المترجمة يتسلى بها في وقت فراغه . ثم يقرر الكاتب أن حافظاً قرأ التراث الشعري كله ، ولكنه كان يتخلص من الكتب بإهدائها إلى أصدقائه .

ويقول عن كامل كيلاني ، الذي عرفناه فيما بعد مهتماً بأدب الأطفال : لقد كان مثال الشاعر النابغة ، وإن لم يكن مثال الشاعر العبقري ، وكان واسع الحفظ ، وإن لم يكن واسع الاطلاع ، وكان مثال الأديب المتزن البارع ، وإن لم يكن مثال الأديب المثقف العميق . وكان مع ذلك مثال اللغوي الخبير بأسرار اللغة ودقائقها ، وكان متواضعا بعيدا عن الزهو والخيلاء ، كما كان عتق اللفظ ، سمح الخلق ، عذب الحديث .

ويكتب الشاعر أحمد محرم ، بحثا مستفيضا . يتقصى فيه المواضيع التي أفاد فيها حافظ من أشعار سابقيه ، وينبغي أن ننبه هنا ، إلى أن مثل هذا الاقتداء الفني لا يعتبر سرقة بالمعنى الذموم في كتابات نقادنا القدماء ، ولا ينال من موهبة الشاعر وأصالته وقدرته على الابتكار ، ونأتي ببعض مما سجله الشاعر أحمد محرم :

قال حافظ في الشيخ محمد عبده :

ما أجزَلَ الله دُخري قبل رؤيته ولا انتفعتُ بإيمان وتوحيد
وقال ابنُ هانيء في المعز :

لولاكَ لم يكن التفكُّرُ واعظا والعقلُ زُشداً، والقياسُ دليلا
لوم تكن سبب النجاة لأهلها لم يُغني إيمانُ العباد فنيلا
قال شاعرنا في رثاء الشيخ :

لقد كنتُ أخشى عادي الموت قبله فأصبحتُ أخشى أن تطول حياتي
وقال النابغة الذبياني :

فإن تخي لا أمللُ حياتي، وإن تمت فما في حياتي بعد موتك طائلُ
بل يذكر المرحومُ الشاعرُ أحمد محرم، أنه لقي حافظاً بعد أن نشر قصيدته
الروانة — كما يقول — في ذكرى شكسبير، ومطلعها :

بحبيك من أرى الكنانة شاعرٌ شغوفٌ بذكرى العفريين مغرمُ
فسأله حافظ : أترأت قصيدتي في شكسبير؟ يقول أحمد محرم : قلت :
نعم ، وابتسمت فضحك وجه الله وقال : وماذا تعني يا أخي ، وقد ابتلانا
الله بلغة الصحف ؟ لقد أعجبَ كُتَّابُها بكلمة «شغوف» ، فهي لا تفارق
أفلامهم ، ولا تنجلي عن شفافتنا . والصواب «مشغوف» كما تعلم . لقد
جعلتُ مكانها كلمة : «ولوع» وانتهى الأمر .

أما الدكتور زكي مبارك ، فإلتفت إلى جانب آخر ، هو الأثر الإيجابي
لعلاقة حافظ بالإمام الشيخ محمد عبده ، فيقرر أن حافظاً كان من المفتونين
بأدب اللغة العامية ، وكان يحفظ كثيراً من المواويل والأرجال ، وكان يُنشِدُ
محفوظاته تلك في حماسة واعجاب . ولكن اتصاله بالأستاذ الإمام محمد عبده ،
حوَّله إلى قوة طاغية في مناصرة اللغة الفصيحة ، وصداقته للوزير المصلح أحمد
حشمت باشا ، دفعته إلى التفكير في رياضة تلامذة المدارس ، على فهم لغة

القرآن، فأنشأ قصيدته المشهورة، على لسان اللغة العربية :

أنا البحرُ في احشائه الدرُّ كامنٌ فهل ساءلوا الغواص عن صدقاتي
أما ابراهيم عبدالقادر المازني، فقد كانت له مع حافظ وقائع عنيفة، إذ
نقده نقداً لاذعاً، ولكن: ما مصيرُ هذا النقد؟ يقول المازني بأسلوبه الساخر
الجميل :

«نقدتُ حافظاً رحمه الله في سلسلة مقالات كنتُ أعزُّ بها، واعتدتها شيئاً
ثمينا فجمعتها ونشرتها في كتاب، بيع من نسخة القليل، وتكدس أكثرها
عندي، فبعتها لبقال رومي — لعله أمي أيضاً، ليف في ورقاته ما شاء من
جن وزيوت، أو يفعل بها ما هو شرُّ من ذلك.»

فا الذي تغير؟

يقول المازني: «ولم يتغير رأيي في الشعر، ولكني صححتُ موقفي من
حافظ، فهو عندي لسانُ العصر الذي عاش فيه، وصوتُ الشعب الذي أنجبه
.. فحافظُ شاعرٌ عظيم، ولستُ أقصدُ إلى الإزراء به، أو الغض منه، فا
أريد أكثر من أن أقول: إنه يصور روح الشعب الموضع الحزين المتجلد، في
شيء من الوجوم والدهشة والخيرة: الخيرة في أمر نفسه، والخيرة في أمر هذه
المقادر، التي لا تجري إلا بالدواهي والأرزاء. وما قرأت شعراً لحافظ إلا
أحسستُ ذلك منه. وأكبر ظني أن غيري من القراء مثلي، وليس بالقليل أن
يكون رجلٌ لسان أمة، والمئات بنجوى ضميرها، وسرُّ روحها، مهما كان
الرأي في قيمة الشعر من حيث هو شعر، وبغض النظر عن بواعثه، وعن
الروح التي صدر عنها الشاعر، والغاية التي اعتمدها، وقصد إليها.»

رحم الله الشاعر والناقد: حافظاً، والمازني، فلا تزال الكلمات التي ابدعا
في زمانها، نورا يزين العربية، ويمدُّ بحرهما الزاخر باللؤلؤ المكنون، إلى ما شاء
الله...

البشري وحافظ



ARCHIVE

لمن يكن الشيخ عبدالعزيز البشري مجرد صديق
لشاعر النيل، بل كان من ظرفاء العصر، وكتابه
المرموقين من أصحاب الأساليب المميزة. وكتابه
«المرأة» الذي رسم فيه صور كثير من الشخصيات
العامة في عصره، يعد عملاً إبداعياً بكل مقاييس
الإبداع. ونحن إذ نختار مقالته عن حافظ، التي
نشرت في العدد الوثائقي من «أبولو»، إنما نختاره
لكل هذه الأسباب التي قدمنا، فهي شهادة صديق،
وإشارة واحد من الظرفاء إلى واحد من شركائه في
الظرف، وخبرة عالم وثيق الصلة بمن يكتب عنه.

حافظ ابراهيم



ناحية من أثره في الأدب

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عبد العزيز البشري

حقاً لقد جلّت مصيبة مصر في حافظ أديباً وكاتباً وشاعراً، ومغاضراً
ومفاكهاً ومنادراً. وحافظ في هذا كله حقيق من مؤرخي الأدب العربي بأن
يعقدوا له الأبواب، ويسبقوا الفصول. ولست أسوق هذه الكلمة القصيرة
لأدك على موضعه في الأدب، وأثره منظومه ومشوره فيه. فذلك شيء قد فرغ

منه، أو هوشية لما يثن بعد الحديث فيه، على ما يظهر. أما أنه قد فرغ منه فذلك بأن أديبا أو متأديبا في العالم العربي لا يجهل حظ حافظ من هذا أو يقدره حق قدره. وأما أنه لم يثن بعد، فلقد تظاهر صدر من صفوة العلماء والشعراء والكتاب على أن يدونوا في حافظ ضخام الكتب يحصون فيها شعره. ويستقرون نثره، ويطلبون المأثور من كلمه، وكل طريف من بدائنه في مناقلاته ومنادراته، وكلها حلو طريف، وبعد أن شمر القوم في هذا واجتمعوا له وجعل يستحث بعضهم بعضاً فيه، طاف بهم أو بنا على الصحيح (فما أبرؤ نفسي) طائف من السكون والفتور، والجمود والركود، فما عدت تسمع من أحده فيها حثاً.

وأكبر الظن أن السبب في هذا يرجع إلى السياسة، فاخواننا من السياسة في شغل لقد صرفهم عن كثير، حتى عن الوفاء بما اجتمعوا له واستحمسوا من خدمة الأدب العربي في ذكر حافظ إبراهيم!

وبعد، فأنما اسوق هذه الكلمة القصيرة لأدب على ناحية واحدة مما أجدى به على الأدب العربي هذا الشاعر العظيم: رزق حافظ، رحمه الله، إلى الطبع في دار الملكة، خلال ثلاثاً لا تستوي لكثير: سلامة الذوق ورهافة الحس. والثانية قوة الحافظة، والثالثة نظافة اللسان.

وكان حافظ رجلاً يهره حسن الصياغة، ويأخذ فيه جمال التعبير، فما يسقط في قراءاته في فنون الشعر والنثر، على لفظ شريف أو صيغة ناصحة مشرقة، كمثل بهاؤها وترقق ماؤها، إلا تهافتت نفسه عليها وراح يلتهمها التهاماً، وهي آخذة منه مأخذ أحلى الأصوات في أدق الآذان.

ولقد قلت لك إن حافظاً كان قوى الحافظة، ولقد بلغ من هذا موضعاً عجباً. ولو قد كان حافظ فيمن لم ندرك أيامهم، فلم نشهدهم ونلايسهم لأحلنا ما يروى عنه في هذا على ما يتردّد به القصاص، ويسرفون في

المبالغة فيه طلباً للافلاق والأغراب .

ولقد كان، رحمه الله، يتناول الصحيفة فيها القصيدة لشاعر كبير، أو المقالة لكاتب مبرز، فإذا عيناه تجمزان فيها جزاً حتى يأتي على غايتها . ثم يطرح الصحيفة، حتى ماتشك في أنه إنما كان يطلب نماذج من بعض أقطارها ليعجل عليها الحكم السريع النظر، فما يروعك بعد أيام، بل بعد شهور، بل بعد سنين طوال، إلا أن تبعث المناسبات ذكر هذه القصيدة أو هذا المقال، فإذا حافظ يروي، بظهر الغيب، أفخر ما فيه أو أحقه بالزراية لبلوغه الغاية من الفسولة والاسفاف !

على أنني شهدت أن حافظاً لم يكن يعلق بحافظته مما يقرأ إلا مايستجيد ويستملح، وأحياناً مايستخف ويستقيح إذا كان لبعض من يكرههم ويرتصد لتشهيرهم والزراية عليهم .

والعجب أن الشائع في الاعتقاد أن من كان سريع الحفظ كان سريع النسيان فإذا صحت هذه القضية فقد حق أن يستثنى عليها هذا حافظ ابراهيم !

وقبل أن أتحدث عن هذا الموضوع من الحديث أقول إن حافظاً قبض إلى رحمة ربه وليس في داره من الكتب إلا ثلاثة أجزاء أو أربعة من الأغاني (طبعة بولاق القديمة) وكتاباً أو اثنين في الفرنسية، وأثارة من الأقايصص (الروايات) العصرية المترجمة إلى العربية في لهجة أدنى إلى العامية، فلقد كلف دهرأ بقراءة هذه الأقايصص حتى إذا غادر داره دسها في (جيبه) ليقراها كلها تيبأ له ذلك .

وتسألني: كيف أنه على كثرة محصولة ووفرة محفوظه من بارع الشعر ورائع النثر لا يجمع من الكتب إلا ما أحصيت؟ فأجيبك بأنه لم يدع ديواناً لشاعر متقدم إلا قرأه، وكذلك قرأ كثيراً من كتب أعلام البيان؛ على أنه ما فرغ من قراءة ديوان شعر أو كتاب تجول فيه ألوان البلاغات إلا خلاه ودفعه

عنه باهداء أو طرحه مطرحه حيث كان تغنياً بما أصاب منه وشكته حافظته المعاتية. ولقد أذكر أنه من نحو اثنتي عشرة سنة دفع إليّ كتاب (المكافأة) لأحمد بن يوسف الكاتب المصري، واستحثني على قراءته وتقليب الذهن فيه تروياً من ناصح بلاغته، فقرأتُ الكتاب مرة بعد مرة، وتعلقتُ بحافظتي منه كلمات وصيغ سرعان ما اتخذتُ أكثرها وتساقط عنها مسقط البقلة الذابلة. ثم إذا صاحبتنا بعد السنين التوالي ينتظمه المجلس، فيروي القصة من الكتاب برمتها كما جرى بها قلم الكاتب مأكداً تنشر عليه منها كلمة، وخاصة ما أشرق لفظه، وتبهجت ديباجته، وما شاء الله كان!

ولقد زعمتُ لك أن حافظاً كان نطقاً ذرب اللسان، وكان إلى هذا رجلاً يألف ويؤلف فكان يطلب مجلسه المتأدبون، وكان هو عظيم التفقد لمجالس الاسمار كثير الاطلاع عليها فلا تراه قط الا جياشاً بلسانه في المجلس، يشتغل في خفة وظرف، بين جد القول وهزله، وهو اثناء هذا وهذا ينبوع يفيض بالأدب فيضاً، ويأبى إلا أن يدفع في حديثه بأحلى ما وقع له من رائع الصيغ.

دعك مما أفاد حافظه في هذا الباب، في شجرة ونثره جميعاً، وما أجدى به على من قرأوه شاعراً ومن قرأوه كاتباً، فذلك مما يخرج عن حدود هذا الحديث. وإنما الذي أريد أن أقوله إن حافظاً، رحمه الله، كان مجلة أدبية حية متحركة يُفشي فصيح العربية حيث كان، ويصلح للمتأدبين أخطاءهم البيانية ما وقعت له. وكثير من الشعراء كانوا يعرضون عليه قصائدهم قبل أن يطلعوا بها على الناس فيثبت لهم المتجمل، ويقوي المنخزل، ويرفع المسق، ويذكي الخابي. فحافظ من هذه الناحية كان قوة قوية في إشاعة فصيح العربية وإظهار المتأدبين على كرائم المحفقات من ألوان بلاغاتها. فكان أثره واضحاً فيما نشهد اليوم من إشراق الديباجة، وتلاحم النسيج، وفحولة الكلام. ولا يذهب عنك بعد هذا أن حافظاً قد استظهر صدرأ

صالحاً من الصيغ والتعبيرات الجميلة أدت في صفاء وسلامة كثيراً من متخير المعاني التي جاءت بها الحضارة الحديثة .

وقيل أن أختم هذا الحديث أذكر عن حافظ خلة من خلاله إنصافاً للحق وإثباتاً لصحيح التاريخ : ذلك بأنه مما أنعم الله به عليه أنه كان قليل الصبر على النظر في كتب العلم والاجتماع في حفظ قواعده والمطاوله في تفهم قضاياه واستخراج مسائله . علوم اللغة وغيرها عنده في هذا بمنزلة سواء ، بل لم يكن له صبر على مراجعة معاجم اللغة فيما يغم عليه من مفرداتها . ولعل الأمر إذا كرثه في بعض هذا تقدم إلى غيره به فرجع اليه بما أصاب . أوكد أن حافظاً قد ثوى وليس في داره معجم واحد من معاجم اللغة . ولكن لقد تهيأت للرجل فرصة لم تنهأ لكثير . فقد عاش من أول شباب السن إلى غاية العمر أعلام العلم واللغة والأدب في عصره ، ودخلهم ولايسهم وحضر مجالسهم وحاضرهم ونادهم وأخذ عنهم . فانسقت له بهذا مجموعة قيمة من علوم اللسان وسواها من قضايا الدين وعلوم الحياة . ناهيك بمن طوى العمر كله في مصاحبة الشيخ محمد عبده والأشياخ حزة فتح الله ، وإبراهيم اليازجي ، ومحمد المهدي ، وحفني بك ناصف ، وسامي باشا البارودي ، واسماعيل باشا صبري ، وسعد باشا زغلول ، وأخيه فتحي باشا ، وإبراهيم بك اللقاني ، والشيخ علي يوسف ، وأستاذنا أحمد لطفي السيد بك ، وعبد الحميد بدوي باشا ، وأحمد بك أمين ، والمرحوم عبد الحميد باشا مصطفى ، وأستاذنا العظيم الشيخ أحمد بك إبراهيم ، وأصدقائنا الدكتورين هيكمل وطه حسين والأستاذ الجليل خليل مطران وغيرهم ، وسواهم من كل من يجري في أبواب العلم والأدب على عرق كرم ، حتى وهو ضابط في السودان ، لقد لازم أستاذنا العلامة المرحوم الشيخ الحضري بك ، وراجعه كثيراً ، وترقى عنه في قوانين اللغة كثيراً ، ولعله كذلك قد اتصل هناك بأستاذنا العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار وأخذ عنه وذلك مما لاأتيينه إلى الآن .

ولعله قد تعاضلك بادىء الرأي ما زعمت في بعض هذا الكلام من أن
مما انعم الله به على حافظ رقة الصبر على الاكباب على كتب العلم، وفيها
علوم اللسان ولعله لو قد فعل لما كان منه كلُّ حافظ ابراهيم !

حافظ إنما طلب العلم في أصفى موارد ، وحصله من أكرم مناجه ،
وأنت خبير بأن العلماء إذا أقبلوا في أسماهم على مذاكرة العلم ، تخيروا
اللب والمصا ، واصطفوا من مسائله ما جلَّ معناه وقويت اسبابه ، وخاصة
ما اتصل منها بوسائل الحياة ، واطرحوا ما لاغناء فيه مما يكظ الذهن ولايكاد
يجدي في تطبيق قضاياه الكثيرة ، وقواعده الوفيرة في دنيا ولا في دين .
وحافظ كان رجلا مستقر الذكاء ، صافي الذهن ، جوهري الطبع ، قوي
الحافظة ، كما أسلفت عليك ، فأصاب مع هذا من صحة من ذكرت من
أولئك العلماء ، وطول مذاكرتهم ومراجعتهم من الفوائد العلمية في شتى العلوم
مالايكاد يدركه الحساب .

وإن تعجب فعجب انني أرى أن عدم اكباب حافظ على مراجعة معاجم
اللغة قد أجدى عليه في صناعته كثيرا ! ذلك بأنه — والرجو أن يعي هذا
الناشئون في الأدب — ~~ما جعله~~ ~~بأنه~~ ~~لم يكن~~ ~~كان~~ ~~كلمة~~ في المعجم
تصلح للاستعمال دائما في المعنى الذي وجهها عليه ، فان الكلمة قد تصلح
في هذا المقام ولا تصلح لذلك ، وقد تنسق هذه الصيغة وتحلو وترق ، إذ هي
تنشز على تلك وتستصعب .

هذا أثر حافظ أو شاء له القدر ألا يأخذ مفردات اللغة الا من أكرم
مناجها ، وألا يطالها إلا وهي في عقود نظامها ، فيما حصل من رائع الشعر ،
وما استظهر من فائن النثر ، فعرف في شعره ونثره كليها ، كيف يضع كل
كلمة في موضعها ، وكيف يضم الجنس إلى جنسه ، ويضيف الشكل إلى
شكله . ومهما اختلف النقدة في شعر حافظ وفي شاعريته فانهم لم يفتروا قط
في أنه كان أمهر الصاغة في هذا الزمان .

وخلة أخرى تتصل بهذا المعنى ، وهي أن بعض الشعراء إذا أعوزتهم
القافية فزعوا إلى المعاجم حتى إذا سقطوا عليها استكروها على النظم
فخرجت ، في الغالب ، غريبة شامسة ، أو قلقة نابية . أما حافظ فقد سلم من
هذا ، وإنك ماثكاد تطالع صدر بيته حتى تراك قد أطلكت من نفسك على
القافية .

• • •

هذه ناحية من جدوى حافظ إبراهيم على اللغة والأدب . أسأل الله تعالى
أن يرحمه الرحمة الواسعة ، وأن يعوض الأدب العربي عنه خير العوض .
عبد العزيز البشري



المازني

وحافظ

من المعروف أن مدرسة الديوان التي نهضت بجهود العقاد والمازني وشكري، قد ناصبت «شوقي» وحافظ، وسائر الشعراء الكلاسيكيين العدا .. فسخرت من أساليبهم، وصورهم، ونعت عليهم تقليد القدماء، والتعلق بظواهر الأشكال والألوان، دون الاستبطان، وقراءة العالم الداخلي للنفس الإنسانية.

من هذه الملاحظات الأساسية هاجم الشاعر الروائي الناقد إبراهيم عبد المقادير المازني هاجم حافظا وشعره، في حياة حافظ، أما بعد موته، وقد أسقط الموت دعوى الخصومة الفنية، فإن المازني يعدل جانباً من أقواله، ويبرره، محاولاً إنصاف الرجل، وإن يكن إنصافاً لا يخلو من غمز وإتهام. لكنه على أية حال، قد حاول أن يعترف بجانب القوة في شعر حافظ، وهو التعبير عن الجماهير، والدفاع عن حرية الشعب وحقوقه. وليس هذا بالأمر الهين.

حافظ لسان عصره

ابراهيم عبد القادر المازني



ARCHIVE

أصبحتُ أجفل من الشعر وأفرق من الكلام فيه وأستجير منه بالحذر، وأحسب ذلك لأنني عانيت أزم التغيير بما زعمنا فأخفقت، وعدت أندم على ما أضعت فيه من جهد وعمر، وأعجب للغرور الذي كان يزين لي الزهوبه . ولست أتكلف التواضع، فان هذا ما أنطوي عليه الآن من احساس ورأي، وقد يتفق لي أحيانا أن تقع عيني على جزء من ديواني فأفتحه وأقلب صفحاته وأقرأ أبياتا هنا وأخرى هناك ثم اطوي الكتاب وأرده إلى حيث كان مدفونا وليس لي إلا الدهشة من أني كنت أعد هذا كلاما يستحق النشر والاذاعة وكنت قديما أتطاول على الشعراء وأتناول بالنقد وأقسو في ذلك عليهم وأعنف . بل لقد افتتحت — أو على الأصح كان مما افتتحت به — سيرتي في الكتابة بأن نقدت حافظا رحمه الله في سلسلة مقالات كنت أعز بها وأعتدها شيئا ثميناً فجمعتها في كتاب بيع من نسخه القليل وتكدر

أكثرها عندي فبعته لبقال رومي — لعله أُمِّي أيضاً — ليلف في ورقاته ما شاء من جبن وزيتون أو يفعل بها ما هو شر من ذلك . وقلت وقد خلصتُ أنفاسي واستراح قلبي : هذا خيرٌ ، فما يستحق مثل هذا النقد إلا هذا المصير .

ولم يتغير رأيي في الشعر ولكني صححت موقفِي من حافظ ، فهو عندي لسان العصر الذي عاش فيه ، وصوت الشعب الذي أنجبه . ولم يكن العصر يحتاج إلى أرفع من هذه الطبقة ، ولا كان الشعب يقدر أن يحس روحه إلا في مثل شعر حافظ . نعم ظهرت المدرسة الحديثة في الشعر والأدب على العموم منذ أكثر من عشرين سنة ولكنها لم تكن مدرسة « شعبية » فلم تستحوذ على الجمهور استحواذ حافظ عليه ، ولم تستول على هواه مثل استيلائه . ولم يتصل ما بين هذه المدرسة الجديدة وبين الشعب إلا بعد أن أخذت دائرة الثقافة في الاتساع .

فحافظ شاعر شعبي ، ولست أقصد إلى الإزراء به أو الغض منه ، فما أريد أكثر من أن أقول أنه بصورة روح للشعب الموجد الحزين المتجملد في شيء من الوجوم والدهشة والحيرة الخرق في أعرقه ، والحيرة في أمر هذه المقادر التي لا تجري إلا بالدواهي والأزراء وما قرأت شعرا لحافظ إلا أحسست ذلك منه . وأكبر ظني أن غيري من القراء مثلي . وليس بالقليل أن يكون رجلٌ لسان أمة وهاتف بنجوى ضميرها وسر روحها ، مهما كان الرأي في قيمة الشعر من حيث هو شعر وبغض النظر عن بواعثه وعن الروح التي صدر عنها الشاعر والغاية التي اعتمدها وقصد إليها .

إبراهيم عبدالقادر المازني

مختارات من شعر حافظ

للحق والوطن

مالي أرى الأكمام لا تُفثخ
والطير لا تلهو بتدويمها
والنيل لا تُرثض أمواجه
والشمس لا تُشرق رضاءه
والبدن لا يبدو على نُفْره
والنجم لا يزهر في أفقه
ألم يجئها نبأ جاءنا
أصبحنا لا أدري على خيرة
أموقف للجد نخنازه
ألمح لامتقلالنا لمعة
وظلمن الظلمة آنازها
قد حارت الأفهام في أمرهم
والروض لا يزكو ولا ينفع
فلي تلبكها الواسع أو تصدح
فترجي ولا يجري بها الأبطح
تخلو هموم الصدر أو تنزح
من بسمات الثني ما يشرع
كأنه في غمرة يسبح
بأن يضراً حرّة تمرح؟
أجدت الأيام أم تمرح؟
أم ذاك للاهي بنا قسر؟
في حالك الشك فاستروح
فأنثني أنكر ما ألمح
إن لمحو بالقصيد أو صرخوا!

معبد الحب

ولكننا زدنا مع الحب سُوداً
بأيسرَ من حُكم السحابة والندى
بناها الثقي واختارها الحب مقبلاً

هَوِّنَا فما هُنَا كما هَانْ غَيْرُنَا
وما حَكَّتْ أَشْوَابُنَا فِي نَفُوسِنَا
نَفُوسٌ لَهَا بَيْنَ الْجَنُوبِ مَنَازِلُ

سجن الفضيلة

فَمَا لِي لَيْتَنِي وَبَا لَيْتَنِي
فَرُوتَنِي وَأُظْمَأْتَنِي
وَصَبْرَ الْحَلِيمِ وَفِيهِ الْغَنَى
فَمَا يَنْشَتِي وَمَا أَتْنِي
أَهْبَنَ بَعِزْمِي فَنَهْنِي
وَعَرَحَمَ مِنِّي بِرُوضِ جَنَى
وَأَوْشَكَ عَوْدِي أَنْ يَنْحَنِي
بِمَعْقُودِ أَمْرِكِ فَاسْتَبْقِنِي
وَأَنْتَ الْجَدِيدُ أَنْ تُوجِنِي

نَعْمَنْ بِنَفْسِي وَأَشْفِقْنِي
خِلَالِ نَزَلِنِ بِخَصْبِ النَّفْسِ
تَعَوَّدَ مِنِّي إِبَاءَ الْكَرَمِ
وَعَوَّدُكُنَّ نَزَالَ الْخَطُوبِ
إِذَا مَا هَوَتْ بَلِيلَ الشَّبَابِ
فَمَا زِلْتُ أَمْرَجُ فِي قَدَهْنَ
إِلَى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّبَابِ
فَمَا نَفْسُ إِنْ كُنْتَ لَا تَوْفِقُنِ
فَهَذَا الْفَضِيلَةُ سَجْنُ النَّفْسِ

الدنيا الضائعة

لم يَبْقَ شيء من الدنيا بأيدينا
كنا فلادة الدهر فانفرطت
كانت منازلنا في العزْ شائعة
وكان أقصى منى نهر انجرة لو
والشهب لو أنها كانت مسخرة
فلم نَزَلْ وصروف الدهر ترمقنا
حتى غدونا ولا جاء ولا نَشَبْ
الا بقيه ذميج في مآقينا
وفي بين العلى كنا رباحينا
لا تشرق الشمس إلا في مغاينا
من مائه مُزجت أقداح ساقينا
لرجم من كان يبدو من أعادينا
شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
ولا صديق ولا خيل يُواسينا



حاجه
دانشواي
ARCHIVE
<http://Archivebeta.ir>

أها القائمون بالأمر فينا
خقصوا جيشكم، وناموا هنيئاً
وإذا أعوزتكمو ذات طوق
إنما عن الحمائم سواء
لانتظتوا بنا العقوق ولكن
لانتفيدوا من أمة يقتيل
جاء جُهلنا بأمر وجثم
هل نسيم ولأنا والوداد؟
وابتغوا صيدكم، وجوهر البلاد
بين تلك الرئي، فصيدوا العباد
لم تغادر أطواقنا الأجياد
أرشدونا إذا ضللنا الرشاد
صادت الشمس نفسه حين صادا
ضعفت ضعفه قسوة واشتدادا

أحسنوا القتل إن ضنتم بعفو
أحسنوا القتل إن ضنتم بعفو
ليت شعري أنلك محكمه التف
أفصاصاً أردتم أم كباداً؟
أنفوساً أصبتم أم جاداً؟
تبش عادت أم عهد نبرون عاداً؟!

« . »

أيها المدعى العمومي مهلاً
قد ضمنا لك القضاء بمصر
فإذا ما جلست للحكم فاذكر
بعض هذا فقد بلغت المراد
وضمنا لنجلك الإسعاد
عهد مصر فقد شفيت الفؤاد

« . »

لا تجزى النيل في نواحيك يامصر
أنت أنبت ذلك النبت يامصر
أنت أنبت ناعقاً قام بالأم
إيه يا مدرة القضاء وباش
أنت جلاؤنا فلا تنس آنا
سر، ولا جاذك الحيا حيث جادا
سر، فأضحى عليك شوكتاً فتادا
س فأدلى القلوب والأكبدا
ساذ في غفلة الزمان وشادا
قد ليسنا على يدك الجذاذا!

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الظلم المهذب

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذب
تمن علينا اليوم ان أخصب الترى
أعد عهد اسماعيل جلداً وسخرة
علم على عز الجماد وذلنا
إذا أخصبت أرض وأجدب أهلها
حواشيه حتى بات ظلماً مُنظماً
وأن أصبح المصري حراً مُتمماً
فاني رأيت المَرَّ أنكى وآلماً
فأغلبتم طيناً وأرخصتم دماً
فلا أطلعت نبأ ولا جادها السماً!

شعراء الأندلس

لماذا هم
أبرز
الشعراء

الأبواب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بقتلم : حامد أبو أحمد

أشرنا في المقال السابق إلى أن الشعب الأندلسي يُعَدُّ أغنى شعوب شبه الجزيرة الأيبيرية ثقافة. وقلنا إن السبب في ذلك يعود إلى تعاقب الحضارات العملاقة في هذه المنطقة، وبالأخص الحضارة العربية الإسلامية في أوج قوتها وازدهارها، فضلاً عن طبيعة الأندلس المتميزة وحسها الحضاري

المرهف . وقد كان لهذه الحضارات بما حملت من ثقافات أصيلة وعميقة أثر في طبع الشعب الأندلسي بطابع خاص . ولهذا فإن هذا الشعب مهما تدهورت به الحال — إذ تعد منطقة الأندلس حاليا من أفقر مناطق اسبانيا ، وأكثرها نصيبا من البطالة والامية والنقص في الخدمات والمرافق العامة — نقول بالرغم من ذلك فإن شعب الأندلس هو أكثر شعوب اسبانيا غنى بالبرزين من أبنائه . وهؤلاء لا يقتصر تأثيرهم على منطقة الأندلس فقط . وإنما يصبحون في النهاية مجدا باهرا لكل اسبانيا ، وفخرا لا يبارى للشعب الإسباني بأجمعه .

ولا نريد أن نتطرق إلى مجالات متعددة ونحصى أسماء البرزين من أبناء الأندلس ، وإنما نود أن نقتصر على جانب واحد فقط هو الشعر . وسوف نرى في تناولنا لتطور الشعر الاسباني في العصر الحديث أن شعراء الأندلس هم أصحاب الفضل الأكبر في حركة الإحياء الضخمة التي شهدتها الشعر الاسباني في نهايات القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . وإنما كانوا أبرز رواد الحركات التجديدية الكبرى في الشعر الاسباني المعاصر بل بلغوا قمة العالمية ، فسوف نخط الأمور عقد حديثنا عنهم ، بحيث لن نستطيع أن نضع خطا فاصلا بين حديثنا عن شعراء الأندلس خاصة أو عن الشعر الأسباني عامة . ولذلك فإننا نفضل أن نتطرق من الجانب الأعم ، مع التركيز على شعراء الأندلس ، وبذلك يمكننا إبراز الدور العملاق الذي اضطلع به هؤلاء في تطور حركة الابداع الشعري .

جوستافو أدولفو بيكر ، رائد الشعر الحديث

يقول الناقد الشهير دامسو (١) ألونصو : « إن بيكر هو نقطة الانطلاق في الشعر الاسباني المعاصر كله ، وأي واحد من شعراء اليوم يحس بأنه أقرب إلى بيكر منه إلى ثور يلا أونونيث دي آرثي أو روبن داريو . ولاشك أن الكثيرين حتى سنة ١٩٠٠ كانوا يدينون بفضل كبير لروبن داريو والحركة الحديثة (الموديرنزم) ، ولكن الأخوين مانويل وأنطونيو ماتشادو وخوان رامون

خيز قد أدركوا أنهم لكي يكونوا أصلاء لابد أن يتعدوا عن تأثير روبن داريو. وبقدر ما كانوا يتعدون عنه كانوا يقتربون من المحيط الفني للشاعر بيكر، ولهذا فإن بيكر من الناحية الروحية يعد أحد معاصرنا .

وهذه الفقرة لدامسو ألونصو تعرض في إنجاز جزء كبير من حركة النهضة الشعرية الهائلة في الشعر الإسباني المعاصر نجد فيها دور الشعراء الأندلسيين بارزا كل البروز. فالشاعر جوستافو أدولفو بيكر هو بإجماع كل النقاد تقريبا أبو الشعر الحديث. وقد ولد في إشبيلية عام ١٨٣٦ ومات عام ١٨٧٠. أما أعماله الشعرية فكانت بداية لكل تجديد. وقد تميزت بالأصالة النادرة والإلهام المتدفق والعمق الوجداني وهي أشياء كان الشعر فيما سبق يفتقر إليها، « وقد جاءت هذه الأعمال مختلطة بعناصر من الكلاسيكية الجديدة، والرومانتيكية، والمدارس الأدبية الأوروبية، مما جعل له نصيبا كبيرا في دفع حركة التجديد في الشعر. لقد نخلد بيكر في كلماته الجديدة موهبته العاطفية بحيث نستشف دائما في هذه الكلمات سليقة فنية مطبوعة» (٢).

وهذه كانت ميزة أدولفو بيكر الكبرى: فقد خلص الشعر من المحسنات اللفظية والمجازات المقتلعة والمعاطف الجامدة، ونفخ فيها روحا جديدة، بحيث أصبحت المعاطف الحارة الصادرة مباشرة عن الوجدان تتلاقى مع بساطة التعبير وصفائه. ولهذا فإن بيكر هو أول من كتب ذلك الشعر الذي تأصل فيما بعد وأطلق عليه «الشعر العاري». وقد عاصرت بيكر شاعرة أخرى من منطقة جاليسيا توافقت معه في الاتجاه هي روساليا دي كاسترو، ولكن تأثيرها لم يصبح على نفس مستوى تأثير الشاعر الإشبيلي .

على أن أهم إنجازات بيكر في هذا المجال هي أنه قد أضفى جوا من الحرية على الشعر أو بتعبير آخر بدأ طريق الشعر الحر، فقد أخذت تعبيراته تبحث عن الموسيقى لا عن الرنين، وعن الإيحاء لا عن الخطابة. وبهذا كان شعره يقترب كثيرا من شعر الإيحاء الرمزي، وإن ظلت رمزته شفافة، مما

يجعله قريبا من الرمزيين الفرنسيين وبعيدا عنهم في الوقت نفسه، فهو مثلهم يعبر بالرمز في كثير من الأحيان، لكن رموزه جزئية شفافة أقرب إلى رموز المتصوفة منها إلى الرموز الكلية التي عرفت عن بودلير ومالارميه وأبوللينير وغيرهم .

كما أن بيكر هو صاحب تلك النظرية الشعرية الحديثة التي ترجع الشعر إلى عنصرين هما : الإلهام أو ما يسمى بالتخيل ، والعقل أو ما يسمى بالمنطق الشعري . والعبقرية الملهمة هي التي تستطيع الجمع بين هذين العنصرين المتناقضين وإحداث نوع من المصالحة بينهما ، فالإلهام — في رأيه — يمكن أن يأتي بـ :

أفكار بلا كلمات

وكلمات بلا معان

وهذه ترانيم ليس لها

إيقاع ولا نغم

ومن ثم فلا بد أن يأتي العقل أو المنطق الشعري فيكمل الإلهام . ولعل هذه النظرية هي أكبر الأفكار تأثيرا في جيل العشرينات الذي قام بتأصيل اتجاه الشعر الصافي .

وأهم أعمال بيكر هو ديوان « قوافي » المكون من ٧٩ قصيدة وهي في غالبيتها قصيرة متنوعة الأوزان . وقصائد هذا الديوان مازالت ينبوعا لا ينضب لكل شاعر يود استلهام الروح الإسبانية الأصيلة . وبعض النقاد يصنفون بيكر ضمن الحركة الرومانسية لكن اتجاهات النقد المعاصر ترى فيه الممهد الأكبر لكل الحركات الشعرية التي انتشرت خلال العقود الأولى من القرن الحالي ، والتي قطعت شوطا كبيرا في الابتعاد عن الشعر الرومانسي .

وبالطبع فإن تأثير بيكر لا يلغي تأثير شاعر نيكاراجوا « روبن داريو » (١٨٦٧ — ١٩١٦) رائد الحركة الحديثة (الموديرنزم) التي جذبت اهتمام كثير

من شباب الشعراء في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، مثل الأخوين ماتشادو وخوان رامون خييز، ولكن هؤلاء الشعراء — كما ذكر دامسو ألنوصو — أدركوا أنهم أقرب إلى بيكر منهم إلى روبن داريو، ومن ثم فقد تخلصوا تدريجياً من تأثير الأخير. وقد ذكر خييز في أكثر من مناسبة أن التيار الأصيل في الشعر الإسباني هو التيار الداخلي أي الوجداني. وقد بدأ هذا التيار مع الشاعر الصوفي سان خوان دي لا كروث (القرن السادس عشر) ثم تواصل مع أدولفو بيكر، ثم ميغيل دي أونامونو وأنطونيو ماتشادو وخوان رامون خييز.

جيل ٩٨ وحركة الموديرنزم

كان لجيل ٩٨ وحركة الموديرنزم دور كبير في تطور الشعر بعد بيكر. وقد كُتب الكثير عن عوامل الاختلاف والاتفاق بين كلا الاثنين، والبعض وضعهما ضمن اتجاه عام واحد هو الاتجاه الحديث، لكنها على أية حال متباعدان في الاتجاهات والخصائص والمفهوم الثقافية وغير ذلك. ولا يهتأ في هذا الصدد ما كان لكل منهما من دور في النهضة الحديثة بقدر ما يهتأ إبراز دور الشعراء الأندلسيين في تلك النهضة.

http://Archivebeta.org/wiki/الجيل_٩٨

فجيل ٩٨ (نسبة إلى عام ١٨٩٨) هو ذلك الجيل الذي انعكست على ضميره أزمة إسبانيا بعد هزيمتها أمام الولايات المتحدة الأمريكية في مياه بورتوريكو وكوبا والفلبين، وتصفية الامبراطورية الإسبانية. وأبرز أعلام هذا الجيل «ميغيل دي أونامونو» و«أنطونيو ماتشادو» و«آثورين» و«بيو باروخا». وكان أونامونو (بلباو ١٨٦٤-١٩٣٦) فيلسوفاً كاتباً شاعراً، أما ماتشادو (إشبيلية ١٨٧٥-١٩٣٩) فكان شاعراً، وآثورين (أليكانتي ١٨٧٣-١٩٦٧) كاتباً ناثراً، وبيو باروخا (سان سيباستيان ١٨٧٢-١٩٥٦) قصاصاً. والبعض يضم إليهم خوان رامون خييز (موجير ١٨٨١-١٩٦٨) وبذلك يكون أعلام التجديد الشعري في هذا الجيل هم:

أونامونو وماتشادو وخييز وإن كانت نسبة الأخير إلى هذا الجيل غير واضحة كما أن له دورا خاصا في تطور الحركة الشعرية ومن ثم فسوف نتحدث عنه بشيء من التفصيل. وكما رأينا فإن ماتشادو وخييز أندلسيان أما أونامونو فن منطقة الباسك.

نعود إلى حركة الموديرنزم فنشير إلى أن رائدها هو شاعر نيكاراجوا روبن داريو الذي قدم إلى اسبانيا وعاش فيها فترة في نهايات القرن التاسع عشر. والتقى بالشعراء الاسبان وأثر فيهم كثيرا وبالأخص الشبان، وإن كان هؤلاء الشعراء — كما ذكرنا — وبالأخص من أصبحوا منهم من شعراء الصف الأول قد تخلصوا من تأثير روبن داريو ويبحثوا لأنفسهم عن طريق يتفق مع التيار الأصيل في الشعر الاسباني.

خوان رامون خييز، الأندلسي العالمي

كان يحملو لخوان رامون (٣) أن يطلق على نفسه وصف «الأندلسي العالمي». وبالفعل فإن هذا الشاعر هو الذي وصل بالشعر الإسباني إلى القمة، وهو صاحب التأثير الأكبر على جيل الإحياء الفخيم أي جيل ٢٧. وقد حصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٥٦. وهو الشاعر الذي اختلطت حياته بشعره كل الاختلاط، بحيث أصبح الشعر هو نبض هذه الحياة. وأهمية خوان رامون تكمن في تطوره الشعري وتأثير ذلك على الجيل التالي. فقد بدأ حياته متأثرا بروبن داريو وحركة الموديرنزم، ثم لم يلبث أن ابتعد عن هذا الاتجاه، وأصبح شعره أكثر أصالة مع تأثر بالرمزيين الفرنسيين، ثم كانت مرحلة الشعر العاري أو الخالص، وقد قطع خوان رامون في ذلك شوطا طويلا مهد الطريق فيما بعد لجيل ٢٧ الذي استكمل المشوار وأصبحت أدواته أكثر تعبيرا عن هذا الاتجاه، وإن كان يبقى لخوان رامون فضل الريادة والتوجيه. ومن أبرز دواوين هذه المرحلة الثالثة أو الثانية في رأي بعض النقاد ديوان «يوميات شاعر حديث الزواج» (١٩١٦)، ثم

كانت المرحلة النهائية وهي المرحلة الصوفية الفلسفية، وكان الشاعر خلالها مشغولاً بالبحث عن إلهه الشعري، وهو يخاطبه على النحو الذي عرفناه عن متصوفة الإسلام فيقول :

إلهي، لقد أنيت إلتي فاتحاً
كل شيء من أجلي، مثل الزهرة.
أتعود لتغلق كل شيء أمامي
مرة أخرى؟ أتعد لي شتاء
بدونك، وشمساً لهذه الحياة السفلى؟
لا. لا. أنا أعرف أن هذا لن يحدث
وأدرك أنك الآن نائم
أعرف ذلك، نعم أعرفه يا إلهي المحبوس
المحبوس الآن، وفي داخلي فقط.

ونخوان رامون خبوس بالمرغم من أنه قضى معظم حياته في مدريد ثم في البلاد الأمريكية إلا أنه كان من أكثر الشعراء ارتباطاً بالاندلس وبالأنص بقرينته « موجير » التي ولدت فيها عام ١٨٨٢. وقد نزل إلى مدريد لأول مرة في أواخر القرن التاسع عشر، لكنه كان يميل الحياة في هذه المدينة الصاخبة، ويعود ليقضي سنوات متواصلة في مسقط رأسه، يخالط شيوخ القرية وشبابها وأطفالها، ويصطحب جحشه « بلاتيرو » في غدواته وروحاته، حتى كان الأطفال يصيحون عليه أحياناً قائلين « المجنون ». وقد نتجت عن هذه الصحبة الأليفة الموثية الشهيرة « بلاتيرو وأنا » (٤)، وهي عبارة عن مقاطع من النثر الشعري يصف فيها الشاعر حياة القرية من خلال تلك الصحبة التي جمعت بينه وبين بلاتيرو، وهذا الكتاب فريد في الأدب العالمي. وبالرغم من أن الشاعر قد أهداه للأطفال إلا أنه يستحوز على انتباه الكبار قبل الصغار ويحظى باهتمام شديد يكاد يساوي الاهتمام الذي أعطي لأشهر قصة إسبانية

هي «دون كيخوته». وتكاد لا تخصصى الطبقات التي صدرت من هذا الكتاب في كل لغات العالم تقريباً.

ومثلاً قيل عن جيل ٩٨ إنهم مكتشفو منطقة قشتالة أي المنقبين عن روحها التاريخية والداعين الى نهضتها فقد قيل أيضاً إن خوان رامون خمير بهذه المراثية قد عمل على اكتشاف منطقة الأندلس. لقد كان شاعر موجير من أكثر شعراء الأندلس إحساساً بالروح الأندلسية ومعظم شعره عبارة عن انفعال وجداني بما يحيط به من مظاهر طبيعية ومعاني روحية. لقد عرف عن شعراء الأندلس سواء القدامى من العرب أو المحدثين من الشعراء الاسبان ارتباطهم بهذه الأرض وامتزاجهم الوجداني بكل ما عليها. يقول خوان رامون في ديوان «رعويات» مخاطباً قريته بعد أن عاد إليها في إحدى المرات:

عمت مساء يا قريتي
إنني ابنك خوان، الوطن.
أتيت لأرى كيف زدهر
الربيع في حقولك.
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com> ...

أتذكريني؟ إنني
خطيب بلانكا، الشاعر
الشاحب الذي هرب منك
ذات صباح في شهر مايو

وقد كثرت كتاباته عن موجير حتى أصبح اسمه يقرن بها في غالب الأحيان فيقال «شاعر موجير»، وهذه ظاهرة نجدها أيضاً عند شاعر عربي حديث هو بدر شاكر السياب الذي خلد «جيكور» في أشعاره.
جيل ٢٧ وبلوغ قمة العالمية

يطلق هذا الاسم على جيل من الشعراء ولدوا فيما بين عامي ١٨٩٢

و١٩٠٣، ونشرت أعمالهم الشعرية الأولى خلال الفترة من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ تقريباً. وقد اختاروا هذا العام بالذات علماً على جيلهم لأنه العام الذي أحيوا فيه الذكرى المئوية الثالثة لموت الشاعر القرطبي جونجورا، الذي رأوا فيه جذورهم التاريخية. وكان هذا الشاعر مغموراً تحت كومة هائلة من النقد، فأزاحوا عنه كل هذا التراب المتراكم، ودافعوا عنه باعتباره شاعراً كبيراً سبق زمانه ولم يفهمه معاصروه أو من أتوا بعده. وكانت تهمة هذا الشاعر أن شعره غامض ملىء بالأفكار والأسرار. وبما أن الشعر في هذه الفترة من القرن العشرين كان يمضي نحو هذا الاتجاه فقد اعتبروه شاعرهم المفضل.

ويتكون هذا الجيل من هؤلاء الشعراء: بدرو ساليانس (مدر يد ١٨٩٢)، وخورخي جيان (بلد الوليد ١٨٩٣)، وخيرازدو ديجو (سانتندير ١٨٩٦)، وفيدريكو جارتيا لوركا (غرناطة ١٨٩٧)، ورفائيل ألبرتي (قادش ١٩٠٣)، وفيشينتي الكساندر (إشبيلية ١٨٩٨) ولويس ثيرنودا (إشبيلية ١٩٠٢)، ودامسو ألونسو (١٨٩٨). إذن فعدد هؤلاء الشعراء ثمانية منهم أربعة من الأندلس: لوركا، ألبرتي، الكساندر، وثيرنودا. ومعروف أن هذا الجيل هو الذي بلغ بالشعر الإسباني قمة العالمية، وأصبح شعراء إسبانيا يقفون في مصاف شعراء الصف الأول في العالم، ويقارن تأثيرهم في مجال الشعر بتأثير ت. س. أليوت، وبول فيرلين، ومالارميه وريلكه وغيرهم من كبار شعراء العصر الحديث.

ولن نستطيع في هذه العجالة أن نوفي هؤلاء الشعراء أو حتى الأندلسيين منهم فقط حقهم في الدراسة، ومن ثم نكتفي بالحديث عن أحدهم في إيجاز ثم نلم إماما بالآخرين.

جارتيا لوركا، أسطورة الشعر الحديث

هذا الشاعر الغرناطي نال من الشهرة ما لم يتله غيره، حتى إنه قد تحول

عند البعض إلى أسطورة. ولعل ذلك يعود إلى أمرين في غاية الأهمية، أولهما القيمة الفنية والإنسانية لأشعاره فضلا عن طاقته الشعرية الجبارة، وثانيهما موته المأساوي خلال الحرب الأهلية الإسبانية. وبالرغم من حياته القصيرة التي لم تبلغ أربعين عاما (مات عام ١٩٣٦) فقد بلغت أعماله الغنائية والمسرحية قمة النضج الفني والجمالي. ومن أشهر دواوينه الشعرية «أغاني الغجر» الذي نشر عام ١٩٢٨، وفيه يصف عواطف هذا الجنس الغريب المنعزل عن المجتمع في جودة فنية لا يبلغها إلا شاعر ذو موهبة جبارة مثل لوركا. وعندما سافر إلى نيويورك تبلورت انفعالاته إزاء الحضارة الأميركية في ديوان «شاعر في نيويورك» الذي أعلن فيه احتجاجه ضد نمط الحياة السائدة هناك والذي لا يسفر إلا عن وأد كل ماله قيمة من روح الإنسان. وقد خصص في هذا الديوان بعض القصائد للسود الأمر يكتين باعتبارهم ضحايا حضارة ليست لهم.

ومن أشهر أعمال لوركا الشعرية أيضاً مثنوية إجناتيو سانشز ميخياس صديقه مصارع الثيران الذي سقط صريعاً أمام الثور في حلبة المصارعة عام ١٩٣٥. كما كتب لوركا عدداً من المسرحيات باللغة، ومعظمها مترجم إلى اللغة العربية، مثل «الاسكافية العجيبة» (١٩٣٠) و«عرس الدم» (١٩٣٠) و«يرما» (١٩٣٤) و«السيدة روسيتا الغازية» (١٩٣٥)، و«بيت برناردا ألبا» (١٩٣٦).

على أن ما يعنيننا أكثر في هذا المقام هو ارتباط لوركا بالأندلس، وهو ليس بدعا في ذلك أيضاً، لأن شعراء الأندلس — كما ذكرنا من قبل — يحسون بالانتماء الشديد إلى أرضهم مهما ترحلوا عنها، ومن ثم تأتي أشعارهم تعبيراً صادقاً عن روح الأندلس وعن طبيعتها الجميلة المترفة. ولهذا نجد جيرمو دياث بلاخا في كتابه (٥) عن لوركا يقارن بين بعض ما كتبه الشاعر الغرناطي عن أهم مدن الأندلس — قرطبة وغرناطة واشبيلية — وما كتبه قديما

أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندي في كتابه «رسالة في فضل الأندلس» (٦)، وذلك أن الاثنين بالرغم من فارق الزمن بينهما بحوالي سبعمائة عام يصفان مدن الأندلس المذكورة باستخدام نفس الأسلوب ونفس الخصائص تقريبا ويأتي وصف كل منها مغلفا باستعارات ومجازات معبرة. ولولا عدم توفر النص العربي لرسالة الشقندي أمامنا لأتينا بنماذج من كليهما يتضح منها كيف استعمل كل منهما نفس الطريقة في وصف قرطبة وغرناطة واشبيلية.

شعراء الأندلس الآخرون من جيل ٢٧

وهؤلاء — أي الكساندر وألبرتي وثيرنودا — ليسوا أقل تأثيرا من زميلهم لوركا وإن كانوا أدنى منه شهرة. فالأول حصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٧٨. ومن أهم أعماله «الحب أو الموت» (١٩٣٥)، و«ظلال الفردوس» (١٩٤٤) و«قصة القلب» (١٩٥٤) وقد ولد في اشبيلية عام ١٨٩٨ ومازال على قيد الحياة.

ورفائيل ألبرتي ولد في ميناء سانتا ملريا الطابع لإقليم قادش على ساحل البحر المتوسط عام ١٩١٣ ومازال على قيد الحياة ويعتبر بضمخة جيدة. وقد كتب أعماله الأولى على الطريقة السورالية مثل كل زملائه ثم تحول مع عقد الثلاثينات إلى شعر الالتزام. ومن أهم أعماله «بتار على الأرض» (١٩٢٥) و«جير وغناء» (١٩٢٧) و«بين القرنفل والسيف» (١٩٣٩).

أما لويس ثيرنودا فقد ولد في اشبيلية عام ١٩٠٢ وتوفي في المكسيك عام ١٩٦٣. وله عدة دواوين من أهمها «أثان يسكن النسيان» و«الحقيقة والرغبة». كما نشر كتابا ثريا يعد أروع أعماله عنوانه «OCNOS» كتبه في المنفى، وفيه يتحرق شوقا لبلاد الأندلس.

وهكذا نرى أن شعراء الأندلس هم — بحق — أبرز شعراء اسبانيا وأكثرهم أصالة ولمعانا. وهم أصحاب الفضل الأول في وصول الأدب

موت البطل في الرواية

تأليف: رالف فوكس

ترجمته وتقدمه: دكتور طه وادي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تقديم:

هذه المقالة — إحدى الفصول الهامة لكتاب «الرواية والناس» للناقد الانجليزي «رالف فوكس» الذي يأخذ أهمية خاصة من زاويتين: الأولى: ان مؤلفه قد أثر بالفعل كثيرا على رواد النقد الواقعي في الوطن العربي كله، الذين كانوا يركزون على المضمون الاجتماعي للأدب وضرورة إسهامه في صنع المجتمع والإنسان، أولئك الرواد الذين نعد من ناحية تلاميذهم، ومن ناحية ثانية جيلاً تالياً لهم، خطأ بالواقعية خطوة أبعد في مجال النقد على مستوييه النظري والتطبيقي.

الثانية: أن هذا الكتاب يعدّ من البدايات المبكرة التي تمثل وجهة نظر نقدية ماركسية متكاملة وناضجة بالنسبة لنقد الرواية. ومن المعروف أن النقد الأيديولوجي كان يعتمد كثيرا على مجال الرواية، باعتبارها أكثر الأنواع الأدبية طوعية للحديث المباشر عن علاقة الأدب بالمجتمع. وسوف نجد في هذه المقالة ما يؤكد ذلك.

وما أود الإشارة إليه — أيضا — أن الكتاب ما يزال من الكتب الهامة في درس الرواية، ولا أدل على ذلك من هذا الفصل الذي نقدته منه، حيث يبين أن الروائي الحديث في تخليه عن خلق الشخصية (البطل) من أجل تصوير الناس العاديين في ظروف عادية، قد تخلى عن الواقعية، وعن الحياة نفسها.. وأن عزل الحياة في الرواية عن الواقع يضع التفاعل بين الشخصيات والعالم الخارجي، مما يؤدي إلى قتل الخلق الفني بابتكار الشخصية التاريخية للإنسان. ويؤكد على أن المهمة الرئيسية للروائي هي إعادة الإنسان إلى المكان الذي ينتمي إليه في الرواية، وأن يضعه في صورة كاملة للإنسان المعاصر في محالته ليصبح سيد حياته ومالك مصيره، وأن البطولة يجب أن تعود للرواية تعود لها شخصيتها الملحمية.

بصفة عامة نستطيع القول بأن الناقد يبلغ مؤكداً على المبدأ الجمالي ، الذي تقوم عليه الرواية، بل والفن القصصي عموماً ، وهو مبدأ «خلق الشخصية»، ذلك أن الرواية بلا شخصية إنسانية ، نثر بلا روح أو ثثرة بلا جدوى ..

ولن أطيل ، حتى أحيل القارئ إلى نص الناقد مباشرة، وانما اشير في النهاية إلى أن هذا الكتاب قد صدر في لندن سنة ١٩٣٧ بعنوان :

The novel and people

By: Ralph Fox

والفصل الثامن الذي نترجمه منه بعنوان : **Death of the Hero**

موت البطل في الرواية

يبدو أنه ابتذال غير ضروري، حين نؤكد أن الرواية ينبغي أن تهتم أساساً بخلق الشخصية. ومن سوء الحظ، فإن هذا الأمر لا يمثل — فيما عدا الشعور الرسمي — الاهتمام الرئيسي للروائيين المحدثين. فالروايات تهتم اليوم بكل شيء تقريباً عدا الشخصية الإنسانية. وبعض الروائيين مثل السيد هسكلي يهتمون بدائرة المعارف البريطانية والأشياء الغريبة الخاصة بمعارف الفرد الذاتية، وآخرون مثل د. هـ. لورنس يهتمون بشكل واضح بوصف الحالة النفسية للكاتب، بينما آخرون يشغلون بالمناقشات السياسية مثل معظم أعمال هـ. جـ. ويلز، أو بالنقد الاجتماعي المعتدل مثل مئات الكتب لتوم، جان، املي، هاري (وبالتأكيد فإن التغير الاجتماعي يكون الفكرة الرئيسية للروائي، وقد انتج بالفعل بعض الروايات العظيمة عالمياً. والناقد — رغم كونه فوق الجميع، فإن هذا لا يعفيه من واجب جعل الشخصية الإنسانية مركز عمله).

لقد اختفت الشخصية الإنسانية من الرواية المعاصرة، واختفى معها «البطل». وعملية قتل البطل كان لا مفر منها في تطور رواية القرن التاسع عشر، بسبب تدهور الواقعية.

إن فلوبير عند كتابته لرواية «مدام بوفاري» كان لا يزال مهتماً بشخصية المرأة نفسها بالدرجة الأولى، لذلك فإن طريقته في الخلق جعلته يمد طاقته كلما استطاع، لرسم صورة كاملة لقلب نورمان بنفس القدر الذي اهتم فيه بشخصية إيمّا. ولكن دي جونكرت كان قد فكر بالفعل في شروط كتابة الرواية حول خشية المسرح والمستشفى وبيت الدعارة أكثر من اهتمامه بالبشر.

كذلك استمر زولا يواصل الاهتمام في رواياته بالحرب والمال والدعارة والشرف وأسواق باريس وما إلى ذلك .. وكتب أرنولد بنيت — التلميذ المخلص للواقعية الفرنسية — رواية ممتازة عن والده وعن شبابه، ومن ثم

سيطرت عليه الرغبة القدرية لكتابة رواية «تاريخ الأسرة»، التي دمرت عمله المبكر بتكلفتين، وبالمثل فإنه كتب واحدة من الروايات الجيدة قبل الحرب الإنجليزية حول سيدين عجوزين تعرف عليهما في بوترز، ثم بدأ في الكتابة حول صاحب جريدة وفندق وبيت دعارة وغير ذلك (وان لم يختلف في هذا — بالضرورة عن روائيي آخرين).

وكان فنانون الجون كورتر حريصين على ذلك، ولا يزال ممكننا قراءة أعمالهم بشيء من المتعة. وكان زولا يملك حيوية وقدرة على الخلق عبقرية، لذلك فإن رواياته لا تزال مقروءة أيضاً بسبب حرارة العاطفة التي فيها. وهناك آلاف من الدراسات «الواقعية» كتبت حول أناس ليسوا فنانيين أو رجال عاطفة وعابرة ومع ذلك فإنها تقرأ شعبياً إلى اليوم.

إن الروائي الحديث في تخليه عن خلق الشخصية أو البطل، من أجل مهمة تصوير الناس العاديين في ظروف عادية، قد تغلى عن الواقعية وعن الحياة نفسها. وهذا حقيقي ليس بشأن الواقعيين الملتزمين للمدرسة «الموضوعية» فحسب، ولكن بشأن الروائيين من أصحاب التحليل النفسي الذاتي الخالص أيضاً.

وبالفعل فإن الأخيرين (أصحاب المدرسة النفسية) يستطيعون أن ينسبوا إلى أنفسهم الفضل في تفرغ الشخصية من كل معنى، حتى لو كان ذلك في بعض الأحيان بطريقة رائعة موهوبة، ذلك أن جيمس جويس حريص على تصوير الإنسان العادي، حتى أنه يختار أكثر «الرجال» عادية وهو الرجل الذي يستطيع أن يجده في مدينة دبلن في ظروف «عادية»، لدرجة أنه يقدم بطله وهو جالس على مقعد المرحاض.

إن هذا تأثير رفض الإنسانية في تقاليد الأدب الغربي عامة (وفي الحقيقة، فإنه رفض للرؤية العادية التي يعطيها لنا الأدب العالمي ككل لأن الشرق له إنسانيته أيضاً). إن وجهة النظر الحديثة في قضية الخلق الفني تقوم على عزل الحياة عن الواقع من خلال تحطيم الزمان والمنطق

الداخلي للأحداث، فيضيق في النهاية التفاعل المشترك بين الشخصيات والعالم الخارجي، وهذه وجهة نظر تؤدي إلى قتل الخلق الفني بأفكار الشخصية التاريخية للإنسان. وبالفعل فإن البرجوازية لا تستطيع أن تواصل قبولها للإنسان في الزمن وهو يتحرك في العالم متغيراً به ومغيراً إياه، ذلك الإنسان التاريخي الذي يخلق نفسه دائماً — لأن هذا القبول يتضمن إدانة للعالم البرجوازي، واعترافاً بالمصير التاريخي للرأسمالية، والقوى العاملة في المجتمع التي سوف تغيره.

إن البطل في روايات الفترة العظيمة للقرن التاسع عشر، نجده — في الغالب — رجلاً صغيراً في صراع مع المجتمع الذي يهزمه أو يقهره في النهاية، وهذا وحده بطل ستندال وهو الذي يحتل مكان الصدارة دائماً عند بلزاك، كما أنه الشخصية الرئيسية في كل رواية روسية تقريباً، وتستطيع أن تجد في الأدب الإنجليزي من بندينس إلى ريتشارد فيفرل، إرنست بونتفكس، وجود هذا الشاب المتمرد، المثالي، ملتهب العاطفة، الحزين، هو الفرد الذي لا يقدر أن يتواءم مع المجتمع الذي يرضى بالانانية عقيدة. ويبدو أن هذا القرن قد عرف شكلين من الانانية: شكل مقدس، وآخر مدنس، ولم يكن أمام مقدسي الانانية سوى اليأس والتفاني وتحطيم الإرادة وضياح الإيمان في النهاية.

هذا البطل الشبابي كان يمثل — بشكل مؤكد — شباب الكاتب نفسه، أو مرحلة من نضاله الشخصي ضد المجتمع الذي لم يتقبل إنسانيته كما لم يستطع أن يتقبل آراءه في السعادة الشخصية والملكية وفي العلاقات بين الجنسين. ورسائل فلوير مفعمة بكراهية شديدة واحتقار للمجتمع البرجوازي الذي يرغم الفنان على التكيف مع كل فكرة من مثله الكرهية غير الجديرة بالاحترام، والمؤسسة على الجهل والمدمعة بأساس صلب من المال. وقد رأى فلوير وزملاؤه المثقفون — ومن بينهم أفضل مفكري القرن التاسع عشر وأكثرهم شرفاً — أن أساس كل شر اجتماعي يرجع إلى التعليم الإلزامي

وحق الانتخاب العام، فالأول كان يعني بالنسبة لديهم تعليم يسير وفق
المثل البرجوازية، بينما يرتبط الثاني في اذهانهم بالاستفتاء العام الذي ثبت
أقدام الدكتاتورية البرجوازية لنابليون الصغير.

وردة الفعل ضد رتابة الحياة في المجتمع الرأسمالي ووضاعتها — في
القرن التاسع عشر — قد منعت الروائي من فهم وسيادة رؤية مثيرة من
أعظم انجازات الحياة البشرية في هذا القرن، وذلك الذي كان ينبغي
عليه معرفته وتجاهله كلية بالطبيعة — وهو الطبقة العاملة، ذلك أن الروائي
لم يتصل بالعامل، ولم يبحث عنه، كما لو كان مواطناً غريباً أو من سكان
عالم غير مفهوم. وأخيراً بدأ الجهد الجاد الصعب في اكتشاف هذا العالم
بعد كمونة باريس فقط. ويذكر آدموند دي جوناكور صراحة، أنه يحس
كأنه مخبر بوليس حينما كان يجمع عناصر رواية «الحياة الدنيا» ولكنه
يصترح أنه ربما صورها لأنه رجل أدب «يستهويني الناس والرعاع إن
شئت — كأنهم وطن مجهول لم يكتشف بعد، فيه شيء «مثير» يبحث عنه
الرحالة ويحملون من أجله ألواناً من المعاناة في أراض بعيد». وبالنسبة
لمعظم الكتاب فإن الطبقة العاملة لا يزال لها مجود هذا الانجذاب «المثير»
بغض النظر عن حقيقة أنه من أجل خلق شخصية إنسانية من وجهة نظر
كهذه. وباستثناء نادر لواحد أو اثنين (مثل مارك رافورد على سبيل
المثال)، فإن الروائي لم ينجح في تصوير مقنع لرجال أو نساء الطبقة
العاملة، وبسبب من هذه الصعوبة في كسر الحاجز بين «الأمتين»
(الطبقتين البرجوازية والعاملة) فإنه يندر حتى أن يحاول الروائي ذلك.

بيد أن الأكثر وضوحاً من ذلك أن هناك نموذجين آخرين للإنسان قد
استبعدهما الروائي البرجوازي من الأدب الخيالي، وهذان النموذجان قد لعبا
دوراً خطيراً في تاريخ المجتمع البرجوازي وهما: العالم (Scientist)
والزعيم «الرأسمالي» Capitalist Leader ذلك المليونير الذي يعد حاكم
حياتنا الحديثة.

ويعد أرشميدس، جاليليو، نيوتن، لافوازييه، دارون، فاراداي، باستير، كلارك ماكسويل من أشهر علماء العالم، وأربعة منهم انجليز، بل ان ثلاثة منهم من رجال القرن التاسع عشر. ان هفري دافي يعد قمة علماء الطبيعة العظام في القرن التاسع عشر، وكان صديقا حيا لكل من ساوثي، كلوريدج، وردزورث، والروائية ماريا ادجورث. وكان يمكن أن يوجد بعض الانجليز القلائل المهتمين بالكيميائي دكتور جوزيف برسيلي الذي لم يحصل حتى على مقدمة في كتاب جيد يترجم له.

ويمكنك أن تبحث عبثا في الأعمال الحقيقية للروائيين الجيدين للقرن التاسع عشر، لأن مثل هذه المعرفة تدل على أن وجود العلم يعني أن الإنسان أكثر أهمية من وجود مرضاض عام، نافع وضروري، على الرغم من أن المقارنة غير سارة. إن العالم والزعيم الرأسمالي، ما زال كلاهما بعيدا عن مجال الأدب، حتى في أيامنا هذه. بعد أن عرف العلم تماما واحتل المرضاض مكانه المشرف في الأدب، إنه لا يتحقق معرفة بحق العالم ليحتل مكانه، على الأقل في بار مع يغير ومثله كموضوع للفن — سوى عند كتاب الدرجة الثانية فقط.

ولا تتخيل ان هذه دعوتي للعالم ليعترف بالعالم كـ «موضوع»، كما اعترف دي جونكورت بالمثلة، وزولا بالسلخانة، وأرنولد بنت بالفندق الفخم. فالعالم ليس موضوعا، ولكنه نموذج للإنسان الذي يخلق العقل، الذي يوصل إلى الفن العظيم، وهو جزء من حياة الإنسان، وليست هناك صورة ممكنة لحياة الإنسان في الزمن الحديث تجاهله كلية.

ويوجد سببان يبرران لم كان هذا النوع من البشر — وهو واحد من القوى الخالقة الحقيقية لعصرنا — قد تم تجاهله من الروائي؟ السبب الأول أن الروائي نفسه جاهل للعلم، منفصل ومنعزل عن عقيدة الخلق العلمي في هذا العالم ذي التخصص الضيق والمقسم للعمل، لذا فان هذا المجال الحي للشخصية الإنسانية يظل كلية كتابا مغلقاً بالنسبة للروائي. والسبب

الثاني يمكن في أن ظروف الحياة الاجتماعية تمنع الروائي من اكتشاف الشخصية العلمية، فالعلم واحد من القوى الخلاقة لعالمنا، والتي ما تزال تستعبده وتفسده أيضاً. لذلك فإنه ينبغي علينا أن نطلب من أديب واقعي شجاع أن يصور العالم في القرن التاسع عشر، ذلك (الأديب) الذي عليه أن يختار — دون خوف — عقيدته بشجاعة، وأن يعرف أضرار هذا التجاهل، كما أن عليه أن يفضح الفساد الاقتصادي وأن يعرف سمات النظام الاجتماعي. وفي أيامنا هذه فإن عليه أكثر من ذلك أن يكون مستعداً ليبين كيف أن المجتمع يوظف العلم لتدمير العلم نفسه.

وقد سبق أن ذكرت أن الروائي قد تجاهل نموذجاً آخر، لا يقل أهمية خلال هذا القرن في تطور الشخصية الإنسانية بأي معنى. ففي كل المحاولات الجديرة بالاعتبار خلال القرنين التاسع عشر والعشرين سوف تبحث عبثاً عن صورة رجل الأعمال العظيم، ذلك الرجل الذي ينظم بناء طرق المواصلات والذي يصنع الصلب ويستخرج الماس من أرض أفريقيا ويشق الترع عبر الطرق الصعبة والصحراء لتصب في المحيط.

وربما كان روائيو القرن التاسع عشر غير واعين بهذا جيداً، وكان الرجل الذي يعد في مجال الأعمال قبل سنة ١٨٧٠ هو رجل المال، وقد تعامل معه بلزك باخلاص. أما رجل الصناعة فكان بالفعل رجلاً صغيراً، ولم يكن قد حدد لنفسه هو وخطيبته أمر حكم العالم بعد. حقيقة إن هذا الرجل الصناعي الصغير، أو رجل الأعمال الصغير لم يكونا مجهولين لدى الواقعيين العظام. ولكن الرغبة وحدها حاولت أن تصوّر أمثال بعض رجال الاقتصاد الكبار بيد أن الفنان بصفة عامة قد فرّ بعيداً عن هذا النموذج كما لو كان شيطانياً.

إن فنان عصر النهضة لم يجفل من تصوير شخصية الوغد. وكان على شكسبير أن يقول إن الحياة ناقصة بدون الأوغاد وسوف يكون من غير الحق تخيل أن الوغد إنسان سلبى، وأنه لا يملك أية ملامح إيجابية، وأنه لا

يزيد عن كونه تجسيدا رمزياً للشر. وفي الحقيقة إن الرأسماليين المحدثين لا يشبهون مغامري عصر النهضة الا بطريقة سطحية، فبينما كان الأخير عنيفاً دموياً وقاسي القلب بلا مواربة، فإن الرأسمالي كان كذلك أيضاً ولكن في الحفاء، أو يتخلى عن العنف والقسوة كلية لوكلائه. وبينما كان أمير عصر النهضة شهوانياً مسرفاً بطريقة فجأة، كأنه يستكشف الحياة في الجسد البشري، فإن الشرير الحديث يميل أكثر إلى الدسائس الخفية، والأعيبه أقرب إلى أن تكون عروض حماقات.

ولكن هناك رجالاً جديرين بالاعتبار بين الأثرياء، فكان رودز معتبراً مثلما كان كرها. ونورثكيلف كان عبقرياً بقدر ما كان مجنوناً ولا تستطيع أن تفصل هؤلاء الناس عن كثير من شعر الحياة الحديثة، ومن ضعف الحالة التي جعلت من الممكن لصحيفة حديثة أن تعطينا صورة لملك يموت في حالة إطلاق القاتل لرصاصته تقريباً بفضل اكتشاف العلوم الحديثة. كما أن تطورات الأمم العظيمة وتضحيات الرجال والنساء الملتزمة من أجل قضايا سامية ترتبط بحياة الأثرياء كذلك.

وهؤلاء لا يجدون هم مكاناً في الأدب الخيالي رغم كل ذلك، فالكاتب يجفل منهم خوفاً من القوى الرهيبة التي ستنتقل غير مبالية في صفحاته — إذا ما حاول أن يعيد خلق مثل هذه الشخصية في الفن القصصي. لذلك كان من الأفضل الأخذ بعالم سوان الهادئ: الحقائق والصالونات والمحادثات الطويلة والتحليل الرشيق للمشاعر، والارتقاء الأكثر رقياً للجسد والروح، وهذا في الحقيقة تصوير لعالم الأثرياء — الذين يملكون حياة الأمم ويتحكمون في قدر حضارات عظيمة — ولكنه تصوير معزول بطريقة رقيقة، راقية، بعيدة كل البعد عن العالم الذي خلقه سوان من الدوقة ومسعودي شارلوس، لدرجة أننا نستطيع تجاهل هذا العالم مطمئنين.

وهكذا فإن الملك والوغد قد توفيا في روايتنا الحديثة، فلم تعد

الشخصية موجودة الا في شرائح لا يمكن رؤيتها سوى بالمجهر. وهذه الشرائح البشرية تثير حب استطلاعنا بصورة زائدة دوماً، وتكون شيقة أو جميلة.

بيد أنها ليست لرجال ونساء أحياء. إن تحطيم الشخصية بطريقة آلية في جزء من شعورها قد قوض بناء الرواية وحطم شخصيتها الملحمية. فلم يعد الإنسان إرادة فردانية تصارع إرادات وشخصيات أخرى، لذلك يجب أن يتوارى في هذه الأيام كل صراع وراء الصراعات الاجتماعية الرهيبة التي تهر الحياة الحديثة وتحوها، بينما يختفي هذا الصراع من الرواية، لتحل محله الصراعات الشخصية والعلاقات الجنسية المحرمة أو المناقشة المجردة.

وتنهار النظرية الفلسفية الواحدة التي اعتنقت بعض النجاح من عصر النهضة حتى كانظ من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، فقد حدث تصدع كامل لأي نظرة عالمية واحدة، حدث انتقاء فلسفي من أشباه الفلسفة المتفسخة عند نيتشه وبرجسون والغموض الجنسي عند فرويد، والمثالية الفردية للمدارس الكانطية المتعددة، ثم رفض العقل البشري في النهاية لكل ذلك، وهي النتيجة الحتمية لهذا التدهور الفلسفي، وهي في حد ذاتها انعكاس للآلام البائسة للثورة السياسية المضادة. لقد بدأت حضارتنا بأرشميدس ورابليه ومونتين وتنتهي بالعودة إلى سمة العصور الوسطى في التعصب للدم والسلالة مع إيهام ديني وجنسي في آراء شبلنخر وأوتمان سبان وفرويد وغيرهم. وأول اعلان عظيم لاستقلال الفرد لا يزيد في عصرنا عن إعلان موت الفرد باسم قداسة الفردية.

ولا يمكن أن نجد تعبيراً حراً كاملاً عن الشخصية الانسانية في غياب رؤية عالمية وفهم للحياة، فالرواية لا تستطيع أن تجد حياة جديدة، لأن الإنسان لا يمكن أن يولد من جديد إلا إذا وجدت مثل هذه الرؤية، التي لا يمكن الا أن تكون رؤية المادية الجدلية التي ستولد في الفن واقعية اشتراكية جديدة. لقد كتب ماركس وأنجلز في كتابها «العائلة

المقدسة» الذي يعود إلى سنة ١٨٤٤ وذكر أن الانسانية اليوم لا معنى لها بغير الاشتراكية. «وإذا كان الانسان يبني معرفته وتصوره من عالم الحس ومن تجاربه المحسوسة فانه يستتبع ذلك ضرورة تنظيم العالم التجريبي، وعليه أن يجرب ما هو إنساني حقاً فيه، وأن يألف معرفة نفسه كائناً إنسانياً. وقد عبرت الاشتراكية الانجليزية والفرنسية إلى جانب الشيوعية عن هذا التوافق بين الإنسانية والمادية في دنيا التجربة».

وسوف يعترض أكثر من قارئ على هذه المناقشة بحجة أن التعميمات كانت مسرفة جداً. ولكن ألا غلك حقاً كتابة مبدعة (خلق الشخصية الإنسانية خلقاً خيالياً في صورة سامية) في رواية «بوليس» أو طريق «سوان»؟ ألم ينجح ويلز في كتاباته المبكرة رغم كل انكاره المتواضع في خلق شخصية، وكذلك نفس الأمر بالنسبة للورنس وهكسلي.

إن شخصية بلوم حقيقة شخصية إنسانية، ولكنه الشخصية الوحيدة في بوليسيس، ولا يملك ديدالوس حياة بشرية أكثر من مارلو الذي خلقه كونراد. وشخصيات دبلن المطوعة في «أودس» اليوم، هي ببساطة بقايا معارف الكاتب نفسه، حيث نجد تصورياً جيداً وتحليلاً ذكياً، ولكننا لا نجد شخصيات مبتدعة، وبلوم نفسه هل هو صورة للإنسان حقاً؟ لعله كان يمثل تسعين في المائة (٩٠٪) من الإنسان مصوراً فوتوغرافياً أكثر منه متخيلاً أدبياً، ولكنه ليس بالتأكيد ما يريدنا المؤلف أن نعتقد عنه كإنسان مطلق، يصبح رمزاً لكل الرجال المتأملين في القرن العشرين. إن بوفارد وبوشيه — كرواثيين واقعيين — كانا أيضاً حريصين على أن يقدموا صورة بلوم الفرنسية، وقد أصابها التوفيق أكثر في إعادة خلق صورة بطولية «للرجل البسيط» الذي نسمع عنه كثيراً اليوم. ولكن ذلك ليس تماماً بالضبط، إن فلوبيير لم يعرف شيئاً عن الاكتشاف النفسي الحديث عن اللاشعور، بينما عرف جويس ذلك، ولا يسعف المرء فهمه ليقرر أن ذلك كان ميزة بالنسبة له. إن فلوبيير وإن حرم من اكتشافات فرويد الجديدة،

فقد قرأ على الأقل رابليه واستمتع به، إن لم يكن يملك سوى كراهية الجزويت.

ولا يستطيع بروس — فيأ أرى — أن يدعى لنفسه نجاحا أكبر من جويس، حقا إنه كان يفهم الرجال والنساء بصورة أفضل، ولكن هذه الاشباح المنهكة القوى في صالونات باريس ليست إلا ظلال فقط.

ويعتقد بعض النقاد أن بروس ليس روائيا ولكنه كاتب مقال ونموذج جديد لمونتين. وفي هذا بعض الحقيقة إذا تفاضنا عن المقارنة بمونتين. إن بروس لا يمكن أن يحتل مكانة بين الروائيين العظام، لأنه يفقد أهم ميزة للروائي، إنه لم يختر الحياة بقوة بدرجة تجعله يستطيع أن يترك الناس (في الرواية) تعيش حياتها الخاصة كاملة، بحيث تستطيع أن تسأل أي سؤال عنهم وتحيد الاجابة بالضرورة.

ومع كتاب مثل ويلز ولورنس وهكسلي سوف نجد مستوى أدنى. وشخصيات مثل كيس ومستر بولي وغيرهما لا تزيد عن كونها انعكاسات مثالية لشخصية كاتبها، وما تملكه من اثاره للعطف يأتي من نفس السبيل.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إن هكسلي فيما اعتقد يشبه ويلز إلى حد كبير، فله نفس الحماس للأفكار التي تعطي حيوية لكاتبها، والتي لا نستطيع أن نستمدّها من الشخصيات بمفردها، وله نفس الاهتمام بالعلم ونفس العجز عن الوصول إلى نتيجة مقنعة لحقائق الحياة الشاقة في العالم المعاصر. إنه ما كان سيصبح ويلز في الحقيقة لو أنه ذهب إلى أثون أو اكسفورد بدلا من مدرسة بروملي للنحو وساوث كنجتون.

ونصيب لورنس من الاعتبار كروائي ضئيل، فانه بعد بدايته الممتازة في «أبناء وعشاق» و«قوس قزح» ترك كتابة الرواية تماما إلى تلك القصائد الجميلة المهمة التي كتبها بالثر، المستمدة من قصصه وحكاياته، حيث لا نجد فيها رجالا ونساء أحياء، وإنما حالات مزاجية بسيطة. وعندما

نقارن على سبيل المثال رواية «قوس قزح» بتابعها المثيرة للأسى «نساء عاشقات» فن ذا الذي يصدق أن ما في الرواية الثانية من مجردات لها أي علاقة على الإطلاق بالشقيقات الملتبها العاطفة في الرواية الأولى؟ وإلى أي مدى سوف نجد موضوع الحب والزواج المبكر في قوس قزح باهتا لا حياة فيه، حين نقارنه بمعالجة تولستوى لنفس الموضوع في زواج ليفين وكييتي. لقد حدث شيء ما بالنسبة للورنس بعد قوس قزح حطيم، قدرته الخلاقة تماماً. وأهميته بالنسبة للروائي الحديث ليست فيما أظن في لحظة التنبؤ الفوضوي عن البدائي. ولكنه كان في الحقيقة الكاتب الذي يتذوق الريف وجمال الأرض الانجليزية. ولا يستطيع المرء على كل حال أن يتعاطف مع الريف والأرض الانجليزية إذا كان عاجزاً عن رؤية أن هذه الأرض ليست حرة؛ وأن التراث الانجليزي يشوه إلى حد كبير على يد قلة من الجهلة والملوك معدومي الضمير. إن هاردي كان يملك القدرة ليرى ذلك، ولكن لورنس لم يكن يملك ذلك، لذا فرغم أن لورنس كتب لغة أفضل فإن رؤية هاردي للريف الانجليزي كانت أكثر إثارة للاعجاب.

إن المهمة الرئيسية للروائي الانجليزي أن يعيد الإنسان إلى المكان الذي ينتمي إليه في الرواية، أن يضعه في صورة كاملة للإنسان، أن يفهم ويعيد خلق كل وجه لشخصية الإنسان المعاصر خلقاً خيالياً. إن شعور الإنسان ينطلق حراً من الاغلال التي يفرضها عليه المجتمع الرأسمالي. ومن الأفضل أن تستخدم الفرص المدهشة التي توفرها الحياة الحديثة من خلال نمو الاتصال السريع أرضاً وجواً، من خلال السينما واللاسلكي والتليفزيون، ومن خلال إمكانية الحياة في بيوت انتفى فيها العمل الوضع، ولكنه لا يستطيع الاستفادة من هذه الأشياء إلا قلة قليلة، وهم سادة العالم الرأسمالي الذين يستطيعون أن يستخدموا الابتكارات العديدة للحياة الحديثة، وهؤلاء لا يستخدمونها في تنمية الروح الانسانية، بل في تدميرها تدميراً كاملاً.

إن شعور الإنسان في الهند والصين بالرغبة في الاستمتاع بالحياة قد يكون متسعا بنفس القدر الذي عليه الانجليزي والفرنسي. وهذا الشعور يجب أن يترجم إلى فعل، إلى جهد مؤثر لخلق عالم جديد، لايجاد مساحة جديدة للحرية الإنسانية.

وهنا يصبح السؤال: ما طبيعة الرجال والنساء الذين ينبغي أن تصورههم رواياتنا؟ وكيف ينبغي أن نرى الكائنات في حركتها، ومن نستلهم المساعدة؟ إن الواقعية الجديدة يجب أن تتسلم المهمة من حيث تركتها الواقعية البرجوازية، إن على الواقعية الجديدة أن تقدم الإنسان ليس في موقف النقد فقط أو في حربه البائسة مع المجتمع الذي لا يستطيع أن يتكيف معه كفرد، ولكن عليها أن تقدم الإنسان في محاولته ليصبح سيد حياته، ذلك الإنسان المنسجم مع تيار التاريخ والقادر على أن يصبح مالك مصيره. وهذا يعني أن البطولة ينبغي أن تعود ثانية إلى الرواية لتعود لها شخصيتها الملحمية. ويعطينا هازلت في سياق مقارنته بين شخصيات شكسبير وتشوهر فيها وأضحى للطريقة التي يصورها الروائي ذو الرؤية الواقعية الناس (الشخصيات).

<http://Archivebeta.sakhril.com>

«إن شخصيات تشوهر متميزة عن بعضها بوضوح، ولكنها قليلة التباين لدرجة أن وظائفها يمكن أن تكون متماثلة، فهي مستقلة وإن كانت متحدة الشكل، ولا نستطيع أن نأخذ عنها فكرة معينة من البداية إلى النهاية، فهي لا توضع تحت أضواء مختلفة، كما أن سماتها المتوارية لا تظهر في مواقف جديدة، وتظهر كأنها صورة أدبية أو دراسات نفسية بملامحها المتباينة المصورة بصدق وتمسك بالقواعد لا تخيل، ولكنها تبقى على نفس الاتجاه والحو الشابت وأما عند شكسبير فالشخصيات تاريخية حقيقية لا تقل صدقا وسلامة، وتقدم وهي تعمل، بينما يظهر أمامنا كل عرق وكل عضلة فيها وهي تؤدي صراعها مع الآخرين، بكل ما يستتبع ذلك من انهيار وتعارض وشدة تنوع من نور وظلال. وإذا كانت شخصيات تشوهر قصصية فإن

شخصيات شكسبير درامية، بينما شخصيات ميلتون ملحمية، إن تشوسر قص علينا حكايته كما رأى بحيث تصبح القصة قادرة على أن تفي لهدف معين وبينما كان تشوسر يجيب عن شخصياته بنفسه، كانت الشخصيات عند شكسبير تتقدم إلى المسرح عارضة كل الأسئلة الممكنة وكان ينبغي أن تجيب عليها لنفسها. اننا نجد عند تشوسر أساسا ثابتا للشخصية، بينما عند شكسبير بناء وهذما لعناصر الشخصية دائمين، حيث نجد تخمرا لكل جزئية في الكتلة بئساقها أو تعارضها المتبادل مع العناصر الأخرى التي تحتك بها. وإلى أن تتم التجربة فنحن لا نعلم النتيجة والتحول الذي سوف تأخذه الشخصية في ظروفها الجديدة».

هذه الرؤية للشخصية التي ضاعت من الرواية كلية، واحدة مما يجب على الروائي الثوري استعادته، إذ لا ينبغي عليه ألا يخشى الواقع ويجفل من تصوير الإنسان الكامل. إن مهمته هذه هي المهمة التي فر بعيدا عنها الروائيون البرجوازيون، وهي أن يخلق بجهوده الفنية الإنسان النموذجي بطل عصرنا، وهذه الطريقة يصبح كما قال عنه ستالين «مهندس روح البشرية».

دكتور طه وادي <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تراث شجيرة السنين

الشاعر
د. حسن فتح الباب



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakrkit.com>

ينهمر الفرح الليلي على بارس
فأمشي متكثافاً فوق ذراع الحلم الآتي
وكأنني تحت الأجراس الفضية أشدو
لكن القمر الثلجي على قاهرتي المسكونة
بالمقبة الموصومة بالصمت
يطوقني
والأنفاس الحرة للنيل على السنين
تراودني أو ترجني
فأراني شبحاً ليلياً

في أدراج الريح السادرة الغربية
يبكي و يصلي مصلوبا
أو يصرخ ملتاعا :
دعني يارب الأرباب .. اللحظة هبني
أملكها

يرتد النيل إلها هَمَجِيًا
يُلقي ما بين القدمين العابثتين
بقايا جسدي

مغلولا في رَحِم الطين
الشجرُ الليلي الشرفات الوردية
والقيثار الشاجي في أنفاق المترو
الْقُبْلُ الوَسْنَى

ترتد شواطئ تاريا فوق السين
وأقواسا للتصحر الهاوي
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

و يطوفني القمر الثلجي
تراودني حَسْرَى أنفاس النيل
و ينتشر الطاعون

— ٢ —

ينتشر الطاعون
حتى في الممياوات الغرقى
وتفر فراعينُ الأقصر*
من وجه الطاغية الخزفي المأفون
تَنشُدُ وطننا في جدران اللوفر
لا يتحول فيه الحرف الأخضر*

وزقة توت في فخذِي غانية القصر*
و ينوح المتنبّي في مصر*

.....

.....

— ٣ —

أَلقت بي قدما جوال مكسور القلب
منزوف الشدو

تحت مساء قاس حان
يُمطر أنسا .. وحشة

وعيوننا لنشاوي في بحر الظلمات



أَسارى العدل الموهوم

وتباريح الغرباء

فترائي في وطني معقوف الخصرة

معصوب العينين <http://Archivebeta.Sakl.com>

مسكونا بالقهر الأبدّي

وأحلام الفقراء وبالموت المجاني

صعاليك وأبطالاً

كهانا ومماليك

لصوصاً ومُرابيين

عُناة مرّدة

وتقيأت صديدا

كان الهرم الأكبر يطفو فوق الطوفان

تمثالاً مخضوب الشفتين

مجدوع الأثف
في ركن من ساحة بيجال
تغمره أشباح النخاسين
أسود أجوف
كان القمر الساجي في قلبي ينزف



باريس - سبتمبر ١٩٨١



قصة
للصغار



ور ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حسن موسى

قالت : لا بد انني تأخرت في
نومي ، فمدينة بابل ترقص الآن تحت
الشمس . تركت الفراش ومضت
تدندن بأغنية بابلية من أغاني
الصباح . التقت بأبيها . أمها ..
اخوتها ، وهي تردد - صباح الخير ،

طلع الصباح بهياً ..
استيقظت نور من نومها . كانت
الشمس تسطع في السماء ، وضوؤها
يلمع في الشارع . نظرت نور من نافذة
غرفتها إلى بوابة عشتار والناس في
شارع الموكب .

صباح الخير — تماماً كجزء من ترنيمة الصباح .

نور هي المرح . هي الفرح . هي
البهجة . شارع الموكب يعرف ذلك ،
بل أن مدينة بابل كلها تعرف ذلك .

حملت نور أوراقها وذهبت إلى
المدرسة . كانت الأوراق الواح رقيقة
مصنوعة من الطين يسمونها الرقم .
والقلم أشبه بأزميل نحاس مثلك
الرأس . وفي الصف جلست على
دكتها الرخامية ..

• • •

في ضحى يوم ، خرجت نور من
مدرستها . اجتازت بوابة عشتار ..
دخلت إلى الزقورة . خرجت من
الزقورة . كانت ترقص . ترقص . مرت
على البنائين ، كانوا يبنون القصور
الفخمة . ناولت أحدهم حجراً ،
وقالت :

— يا عم ضعه مع البناء انه حجري .
ثم تركته ومضت ترقص أيضاً .
اقتربت من مجموعة أخرى من الناس ،
كانوا يشقون ترعة عميقة .. فكرت
« كم شق هؤلاء الناس من
الترع !! » .

بعدها أخذت رفشاً من أحدهم
وحفرت معهم قليلاً .

قالت : لاتنسوني ، أنا معكم .

دارت بعد ذلك في شوارع بابل .
كانت الشوارع مرصوفة بالحجارة . تمتد
معهها حدائق ملونة بزهور الأقحوان
المقدسة . كانت تششم ذلك العطر
الأخاذ بفرح غامر . فصارت رغبها في
التجول أكبر . قالت تحدثت نفسها :
« ان مدينة بابل جميلة » ..

وفي أحد الشوارع ، اعترضت نور
طريق قافلة محملة بالبضائع ،
وصاحت :

— أنا نور ، لا تنسوا اسمي .
قال واحد — أنت جميلة يا نور .
قالت : — إذن تذكروني فأنا أحب
تجارة بابل .

دارت في كل مدينة بابل . في
حوارها . حدائقها . شوارعها . حتى
دخلت شارع الجنائن المعلقة . وقفت
تحت الجنائن . كانت الجنائن شاهقة
الارتفاع ، مدرجة البناء .

قالت نور: هذه الجنائن المعلقة من
أجل أوميت ، هل الملكة أوميت أجل
مني ؟ .. لا أحد يستطيع أن يجيب

يمسك بيده إزميله لينحت ذلك
الصخر .

فجأة طارت الفراشة إلى هناك .
تبعها نور . كانت الفراشة تبطيء مرة
حتى تلحق بها ، وتسرع مرة أخرى
لكي تبعد عنها .

صاحت نور وهي تضحك : — يالك
من فراشة ، انك تتعيبيني ، سألحق
بك . غير أن الفراشة ، استمرت تطير
وتتمايل مثل راقص ، حتى دارت
حول الصخر الذي ينحته أيار .. فجأة
صرخت نور :

— آخ .. عقدي .

رفع النحات أيار رأسه . كانت نور
قد انحنت تلم خرزات العقد المقطوع ،
وقد تهدل شعرها . وعندما رآها

النحات صاح :

— يا للجمال .

رفعت رأسها . التفتت إليه . فلما
أبصر وجهها صاح باعجاب كبير :
— أي حق مردوخ العظيم ، انك أجمل
من أوميت .

وقفت نور وقد أخرجها ثناء الفنان
على جمالها :
سألها : — ما اسمك ؟

على هذا السؤال ، فأوميت جميلة ، ونور
جميلة . لنور وجه مدور بلون الخنطة ،
وشعر أسود بلون القار . عينان واسعتان
حوراوان ، وفم جميل .. وأوميت زوجة
نبوخذ نصر ، ونبوخذ نصر ملك عظيم
.. أعظم ملوك زمانه .

نور ابنة شارع الموكب تنظر إلى
الجنائن ، والجنائن معلقة .
قالت : — ستعيش أوميت إلى
الأبد ، ما دامت الجنائن خالدة
فأوميت خالدة .

تمنت أن تصبح خالدة مثل
أوميت . كاد مرحها أن ينطفئ ، لولا
أن فراشة صغيرة ملتفة بسننها في
كتفها . التفت نور إلى الفراشة .
كانت تطير بين شجيرات الورود .

صاحت الفراشة : اتبعيني ، فأنت
أجمل فتاة في بابل .

نسيت نور حزنها وانطلقت وراء
الفراشة . ابتدأت تلعب معها
الاستغماية . كانت الفراشة شاطرة ،
فهي دائما تعرف أين تخبئ نفسها عن
نور ..

وعند نهاية الحديقة كان النحات
أيار ينحني على صخر أصم ، وهو

أجابت :- نور بابل .

أعجبه الاسم :- ياه .. يا له من
اسم جميل ، انت تستحقين الخلود يا
نور بابل .

سألته بدهشة كبيرة وهففة أكبر:

— ماذا قلت ؟ .. الخلود !!!؟

أكد لها ويهدوء تام:

— نعم ... الخلود .

ثم صمت وراح يتأملها . كانت
هي صامتة . غير أن وجهها كان ينم
عن فرح كبير بهذا اللقاء .

قطع الفنان الصمت ، وقال :

— أنت خالدة يا نور بابل .

ولم تستطع أن تكتم فرحتها :

— ماذا قلت ؟ .. أنا خالدة ؟ .. أياها

الفنان هل ما تقوله حق ؟

أجابها :- نعم .

سألت :- وكيف ؟

أجاب :- أنا سأمنحك الخلود .

وبعد أيام خرجت من تحت إزميله
الرائع تمثال جمال عظيم .

• • •

مضت دهور طويلة على ذلك
اللقاء ، لكن نور ما زالت بيننا
بجمالها ، غير انهم يسمونها الآن ..
بابل .

حسن موسى — العراق



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com



الزوجة عتاب الى الصافي الرحيم ... تومشت !

شعر: أحمد زرزور

□ الكارثة الآن ...

أنبي الغصن الأقرب والممتد

ولست أنوء بسفر الحكوين ...

ولكني أشجب كهوت اللفحة :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>
(هذا المايح)

زيك

الصيف ..

وقد عربت بنزيفكم الغض

— فهل ... تنسون ؟!

أنا أشعلت الناقوس .. ،

ومازلتم — رغم خُطى السعلاة —

تتوقون للذة رُعب البدء ..

وتنكيل المنتصف ..

واحباط المرئى ...

نحن وصلنا لليتوبيا الخضراء....

— فكيف تلوحن لعسّ الهُك :

(كأنّ لديكم أشهى النسوة ،

وأرقّ الخصيان)

— هل انتفخ العش على استجمامي فوق

خليج ...،

النعمة ؟!

؛...؛...؛...؛

□ أنتم حملتم أقدامي الصَّهْر .. وكللتُم هاماتي الشوك :

وكانوا عوسج ..

— هل تنسون ؟!

يؤازرنِي النومُ الموشومُ على أعينكم ...،

فأموتُ على يدي الأرض — وكانت في الخُلم :

رهيدة ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

= ما أبخس حزني ؟!

= ما أعطرَ — في فكّ السَّعلاة — مناديلكم المصبوغة بدمي ...

(وأنا

الغصنُ

المُتهك :

بتهافتكم .. للأورام)

،...،...،...،...،

— فهل تنسونُ نشيدي ..؟!

— هل تُنفونُ شراعي ..؟!



” دعاء

المحـ

القمـ ”

شعر عبد الرزاق الحجاج

ARCHIVE

أتمنى سنة قريئة <http://Archivebeta.Sak>

تشعلُ ناراً، تحرقُ أوصاراً

تُنهِي أزمان البؤس الأبدية

وتعزّي عاراً، تمحو آثاراً

لأيادي الحقد الممجية

• • •

أتمنى سنة قريئة

تُثبِت أقداراً، تزرعُ أزهاراً

فيها ينضجُ ثمرُ الحرية

• • •

أُتْمَنِي سَنَةُ قَمَرِيَّةُ
تَجْزُرُ كُلَّ الْآثَامِ ، فِيهَا يَعْلُو الْمَدُّ وَيَشْتَدُّ
وَتَطْفُو مِنْ فَوْقِ السَّدِّ ، أَعْلَامُ تَهْتَفُ لِلْمَجْدِ
وَتَنْشُدُ حَرِّيَّةُ

• • •

أُتْمَنِي قَرَأَ أَزْلِيَا
بَدْرًا لَيْسَ بِمَحَاقَا
يُجْدِبُ فِينَا الْقَحْطَ
وَيَتَحَفَّ



يُخَضِّبُ شُرُورَ دُمُوءِيَّةِ

• • •

أُتْمَنِي الْبَدْرُ الثَّمَنُ

<http://Archive.org> كَيْ يَزْرَعُ مِنْ قَلْبِي الْخَوْفَ

وَيَزْرَعُ فِي قَدَمِي الْقَوَّةَ
لِيَسِيلَ عَلَى أَقْدَامِي لَا أَعْقَابِي الدَّمُ

• • •

أُتْمَنِي قَرَأَ عَرَبِيَّ الطَّلَعَةِ
يَزِيلُ الظُّلْمَةَ
فِي مَنَاةِ الْخَيْرِ ، وَعَلَى كَتْفِيهِ انْعَقَدَ الْأَمْرُ
وَتَكُونُ عَلَى سِيْمَاهِ الرِّجْعَةُ

